حرّاس الطبيعة

الدّلفين السجين





»لَمْ يُصَدِّقْ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ ما رَأَتْ أَعْيُنُهُم. حَيَوانٌ له زَعْنَفَةٌ عَلى ظَهْرِهِ ظَهَرَ لِتَوِّهِ على سَطْحِ المَاءِ. هتفتْ مُنى:

- هُناكَ دُلْفينٌ أَزْرَق!

- لَكِنّهُ يَسْبَحُ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ، قَالَ فادي مُلاحِظًا. إنَّه يبدو مُتَضايِقاً من شَيْءٍ ما...«

على أحَد شواطئ تركيا، يُصبح حرّاس الطبيعة أصدقاء للدلفين «دولفي» الذي هَرَب من حديقة حيوانات مائيّة. لكنّ الحرّاس الثلاثة يرتابون في أن مالِك الحيوان لا يعتني به جيّداً.



9 789953 375397

تَعْريفٌ بِأَبْطالِ القِصَّةِ




منى

فَتاةٌ مُراهِقَةٌ في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها، حَسَنَةُ المَظْهر، حُلْوَةُ المَعْشر، شَغوفَةٌ بالقَضايا المُحِقَّة، مُغامِرَةٌ، مُسْتَعِدَّةٌ لِشَجْبِ الظُّلم.



فادي

في العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِه؛ هوَ الرِّياضِيُّ الجَرِيءُ في هذا الفَريق، وهو دائِماً في طَليعَةِ المُغامِرين. ويُؤَمِّنُ الحِمايَةَ لِشَقيقِه التَّوأم ولِشَقيقَتِه.




وليد

الشَّقيقُ التَّوأَمُ لِفادي والأَكْثَرُ تَعاطُفاً بَيْنَ أَفْرادِ فَريقِ حُرّاسِ الطَّبيعَة. وكَذلِكَ الأَكْثَرُ عَمَلانِيَّةً وتَدْبيراً. مَهْوُوسٌ بالمَعْلوماتيَّةِ والتّكْنولوجيا، لديهِ أَكْثَرُ مِنْ وَسيلَةِ تَحايُلٍ في حاسُوبِه الخاص.



سموس



النِّمْسُ الأَكْثَرُ دَهاءً والمُرافِقُ المُلازِمُ لِفَريقِ حُرّاسِ الطَّبيعَة. حَيَوانٌ مُدَلَّلٌ ومَرِحٌ، لديهِ سِلاحٌ مُخيفٌ أَكْثَرُ مِنْهُ سِرِّيٌّ يَدْفَعُ بالأَعْداءِ إلى الهَرَب.







الدّلفين السجين



تأليف
جان ماري دوفوسيز

رسوم
فابيان مانس

ترجمة
رداح شهاب





الدّلفين السجين

ISBN: 978-9953-37-539-7

Original title:
Dauphin prisonnier

Cet ouvrage, publié dans le cadre du Programme d'Aide à la Publication Georges SCHEHADE, bénéficie du soutien du Ministère des Affaires Etrangères et Européennes et du Service de Coopération et d'Action Culturelle de l'Ambassade de France au Liban.

ينشر هذا الكتاب في إطار برنامج جورج شحادة لدعم النشر بدعم من وزارة الشؤون الخارجيّة والأوروبيّة، ومن مكتب التعاون والنشاط الثقافي التابع للسفارة الفرنسيّة في لبنان.

Academia International	أكاديميا إنترناشيونال
Verdun St., Byblos Bank Bldg.	شارع فردان، بناية بنك بيبلوس
P.O.Box 113-6669	ص.ب 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon	بيروت 1103 2140 لبنان

هاتف Tel. (961 1) 800811 - 862905 - 800832
فاكس Fax (961 1) 805478
بريد إلكتروني E-mail academia@dm.net.lb

صدرت هذه الطبعة باتفاقية نشر خاصة بين الناشر
أكاديميا إنترناشيونال ومؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف وليس بالضرورة عن رأي المؤسّسة.

www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيزي القارئ،

في عصر يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، تنظر مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى الترجمة على أنّها الوسيلة المثلى لاستيعاب المعارف العالمية، فهي من أهمّ أدوات النّهضة المنشودة. وتؤمن المؤسَّسة بأن إحياء حركة الترجمة، وجعلها محركاً فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة في الوطن العربي، مشروع بالغ الأهميّة ولا ينبغي الإمعان في تأخيره.

فمتوسط ما تترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة، في العام الواحد، لا يتعدى كتاباً واحداً لكل مليون شخص، بينما تترجم دول منفردة في العالم أضعاف ما تترجمه الدول العربية جميعها.

أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم»، بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدّمه الفكر العالمي من معارف وعلوم، عبر نقلها إلى العربية، والعمل على إظهار الوجه الحضاري للأمة عن طريق ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية خلال ثلاث سنوات، أي بمعدل كتاب في اليوم الواحد.

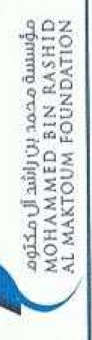
وتأمل مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في أن يكون هذا البرنامج الاستراتيجي تجسيداً عمليًا لرسالة المؤسَّسة المتمثلة في تمكين الأجيال القادمة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات، عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار الخلاّقة التي تقود إلى إبداعات حقيقية، إضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم» والبرامج الأخرى المنضوية تحت قطاع الثقافة، يمكن زيارة موقع المؤسَّسة: www.mbrfoundation.ae

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وقد أعلن صاحب السموّ عن تأسيسها، لأوّل مرّة، في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت - الأردن في أيار/مايو 2007. وتحظى هذه المؤسَّسة باهتمام ودعم كبيرين من سموّه، وقد قام بتخصيص وقف لها قدره 37 مليار درهم (10 مليارات دولار).

وتسعى مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، كما أراد لها مؤسّسها، إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي، من امتلاك المعرفة وتوظيفها بأفضل وجه ممكن لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة مستمدّة من الواقع، للتعامل مع التحديات التي تواجه مجتمعاتهم.



الفَصْلُ الأوَلُ

لِقاءٌ

جاءَ حُرّاسُ الطَّبيعةِ إلى جزيرةِ داتْشه في تُرْكيا. وهُمْ يُقيمُونَ معَ أَهاليهِم عِنْدَ عالِمَةِ البيُولوجيا ناديا، صَديقةُ السَّيِّدَةِ «نعيم».

- هذا كُلُّ ما في الأمرِ! أَعْلَنَ وليدٌ وهو يَشُدُّ آخِرَ بِرْغِيٍّ بَيْنَ يَديهِ. كلُّ هَذِه التّصليحاتِ سَتَسْمَحُ لنا باسْتِعْمالِ كاميرا التَّصْويرِ تَحْتَ الماءِ.

- تُريدُ أنْ تَقُولَ إنَّ عُلْبَةَ الجِهازِ عازِلَةٌ لِلْمِياهِ؟ سَألَهُ فادي.

- إنَّها مَضْمُونَةٌ! لَيْسَ أَمامَنا سِوَى تَجْرِبَتِها!

وعلى الفَوْرِ أَمْسَكَ التَّوْأَمُ أَقْنِعَةَ الغَطْسِ وَرَكَضا نَحْوَ الشَّاطِئِ.



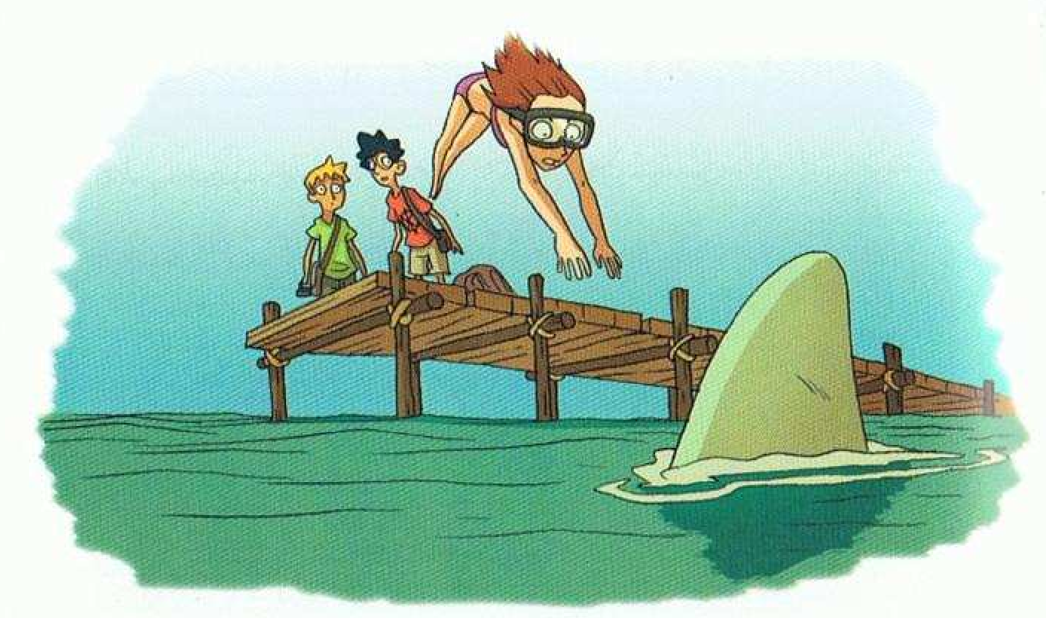
– أوه! تَعالوا أَيّها الصِّبْيَةُ وانْظُروا، صَرَخَت مُنَى التي سَبَقَتهُم إلى الشَّاطِئِ برِفقةِ النِّمْس سَمُّوس. في مَكْتَبَةِ ناديا وجَدْتُ كِتاباً رائِعاً عَنْ أَنْواعٍ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الحيتان. هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ بَعْضَ الدَّلافينِ قد أَنْقَذَتْ حَيَاةَ رُوَّادِ السِّباحَةِ مِنَ الغرَقِ؟ فقد سَمَحَت لَهُم بالتَّشَبُّثِ بها لإعادَتِهم إلى الشَّاطِىء. فِعْلاً إنّها حَيَواناتٌ تَفُوقُ الوَصْفِ. كَمْ أَوَدُّ رُؤْيَتَها عن قُرْبٍ...

– ما هَذا؟ صَرَخَ فجأةً فادي. إلى يَمينِ الجِسْرِ العَائِمِ، يَبْدو أنَّ...

لَمْ يُصَدِّقْ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ ما رَأَتْ أَعْيُنُهُم. حَيَوانٌ له زَعْنَفَةٌ عَلَى ظَهْرِهِ ظَهَرَ لِتَوِّهِ على سَطْحِ الماءِ. هتفَتْ مُنى:

– هُناكَ دُلْفينٌ أَزْرَق!

– لَكِنَّهُ يَسْبَحُ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ، قالَ فادي مُلاحِظًا. إنّه يبدو مُتَضايقاً من شَيْءٍ ما...



تَناوَلَتْ مُنى قِنَاعَ الغَطْسِ الخَاصِّ بأَحَدِ أَشقّائِها وَدُونَ تَرَدُّدٍ رَمَتْ بنَفْسِها إلى الماءِ.

– ماذَا تَفْعَلِينَ! صَرَخَ وليدٌ خائِفاً. قد يَكُونُ خَطَراً!

– أُريدُ أَنْ أَعْرِفُ ما الَّذي أَلَمّ بهِ؟

تَنَهّدَ وليد:

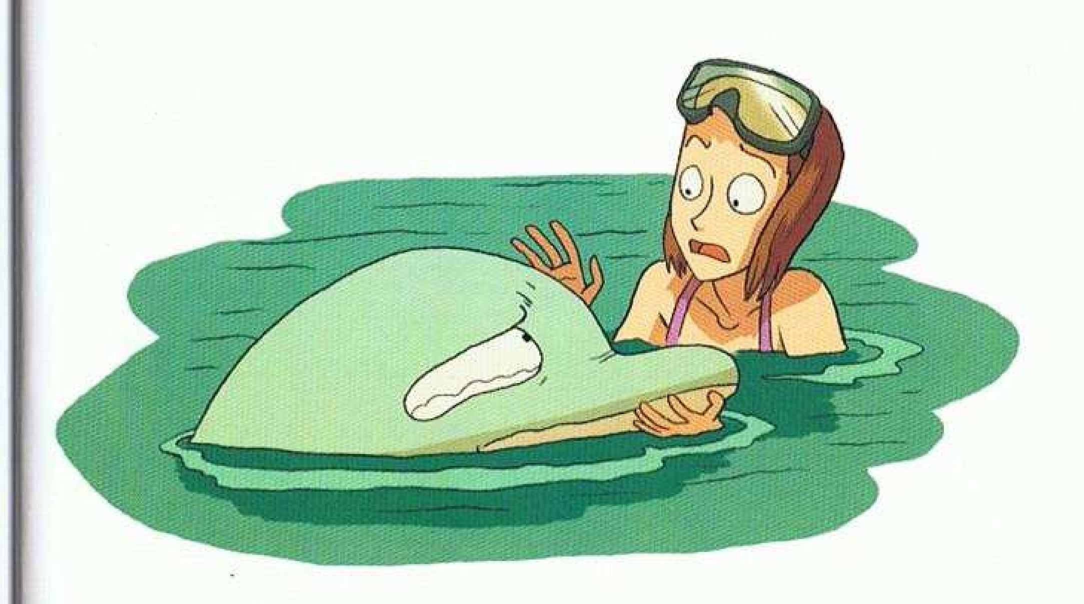
– شَقِيقَتُنا لَنْ تَتَغَيَّرَ أَبداً! ما إنْ يُواجِهُ حَيَوانٌ مُشْكِلَةً ما، حَتَّى تَنْدَفِعُ نَحْوَه، ونَحْنُ مَطْلُوبٌ مِنَّا مُراقَبَتِها!

وانْطَلَقَ يَسْبَحُ وَراءَها بسُرْعَةٍ.

اقتربَت مُنى إلى مَسافَةِ بضْعةِ أمتارٍ مِنَ الحَيوانِ، الَّذي انقلَبَ فَجْأةً على جَنبِهِ واخْتَفى تحْتَ الْماءِ.

- وليد! أَسْرِع! أعْتَقِدُ أنّه يغْرَق. يجِبُ أن...

تَوَقَّفتِ الفتاةُ عَنِ الكَلامِ. شَيْءٌ ما لامَسَ ظَهْرَها. فاسْتَدارَتْ وإذْ بها ترَى الدُّلفينَ، وقدْ عاوَدَ الظُّهورَ علَى بُعْدِ مِترٍ واحِدٍ مِنها وأخذَ يُحدِّقُ بها بعَيْنِهِ الدَّاكِنَةِ اللَّوْنِ. ثُمَّ اقْتَرَبَ بهُدوءٍ مِنْها إلى أنْ ضَغَطَ ذَقْنَهُ المُسْتَديرَةِ علَى راحَةِ يدِها اليُمْنَى.



- هَلْ كلُّ شَيْءٍ على ما يُرام؟ تَساءَلَ وليد.
- بِخَيرٍ، أنا جَدُّ متأثِّرةٌ، هذا شَيْءٌ سِحْرِيٌّ!



وعلى مَهَلٍ جازَفَتْ مُنى بمَدٍّ يدِهَا الأُخْرَى وأخذَتْ تَتَحَسَّسُ جَسَدَ الدُّلفينِ بطَرَفِ أناملِها، فَوجَدَتْ جِلدَه دافِئاً وَناعِماً إلاّ في أسفَلِ إحْدى زَعانِفِهِ الأماميَّةِ.

- وَجَدْتُ مَصْدرَ السُّوءِ! إنّهُ خَيطُ صِنَّارةِ صَيْدٍ قد التَفَّ عِندَ أسْفَلِ الزَّعْنَفَةِ اليُسْرَى!

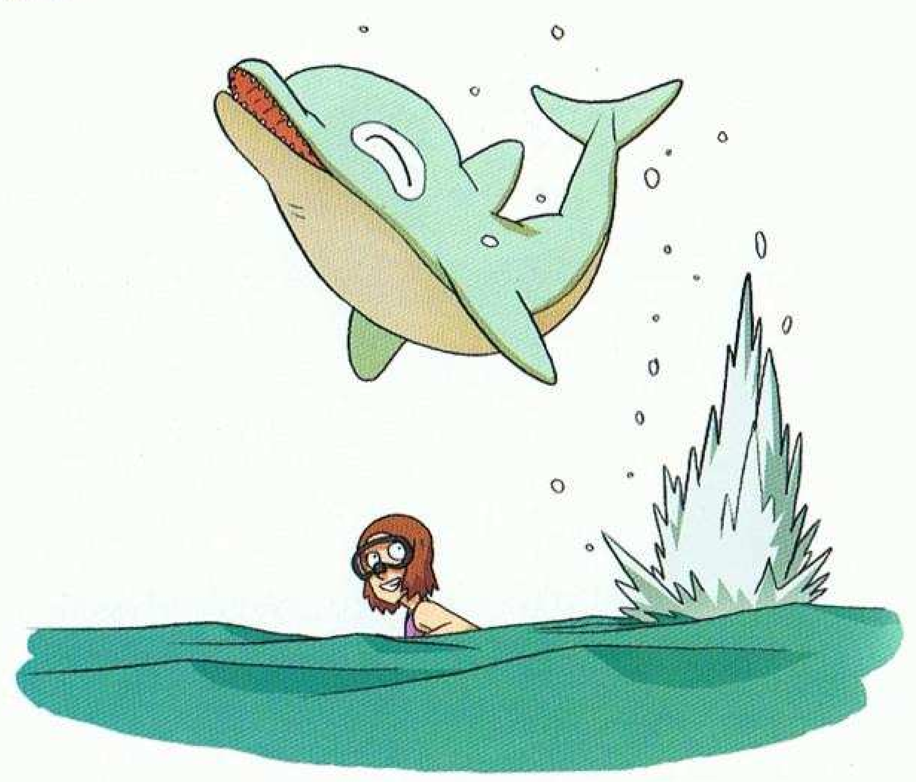
وَضَعَت مُنى قِناعَ الغَوْص على عَيْنَيْها لِتَكْتَشِفَ بأَنَّ الخَيْطَ عائِدٌ لِصِنّارةٍ كَبيرَةٍ قَدِ انْغَرَسَتْ في جَنْبِ الحَيوان. وعِنْدَ كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْهُ كانَ رأسُ الصِّنَّارةِ المَعْدِنيِّ يزيدُ مِنْ جِراحِهِ أَكْثَر.

- سأُخَلِّصه منها!

- إنَّكِ تَرْتَكبينَ خطأً، حذَّرَها فادي. إنْ سبَّبْتِ لَهُ الأَلَمَ فَقَدْ يؤذيكِ دُونَ قَصْدٍ! ألا يَجْدُرُ بك انْتِظارُ قُدومِ الأَهْلِ؟

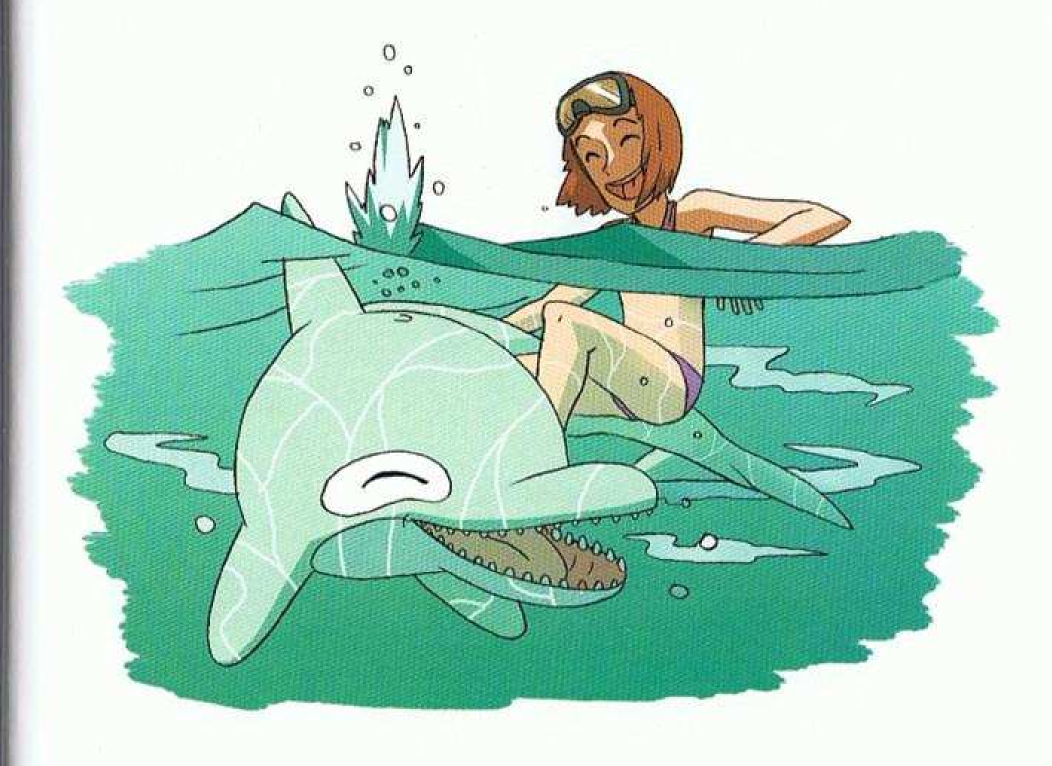
- إنَّهُمْ في جَوْلَةٍ بَحْرِيَّةٍ للتصوير مَعَ ناديا ولن يَعُودُوا قَبْلَ هذا المَساء. إلى ذلِكَ الحِينِ فإنَّ الصِّنّارةَ سَوْفَ تَنْغَرِزُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر، ويُمْكِنُ أن يَرْحَلَ الدُّلفينُ بَعيداً. إضافةً إلى ذلِكَ





انْظُرْ كَيفَ يَلْوي على جَنبِهِ وكأَنَّهُ يُدْرِكُ أنَّ بإمكاني مُساعَدَتهُ...

اقتربَت مُنى وبدأَتْ بحلِّ خَيْطِ الصِّنَّارةِ الَّذي الْتَفَّ حَوْلَ زَعْنَفَةِ الدُّلفينِ. ثُمَّ أَمسكَتْ بالصِّنّارَةِ وحَاولَتْ سَحْبَها بعِنايةٍ قُصْوَى. لقد صَعُبَ عليها انْتِزَاعَها بادِىءَ الأَمْرَ قبلَ أن تَنْجَحَ بِسَحْبِها دفْعَةً واحِدَةً. فانْطَلَقَ الدُّلفينُ



وغَطَسَ في الماءِ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ، وفَجْأَةً قَفَزَ على عُلُوِّ مِتْرَيْنِ فوقَ سَطْحِ الماءِ.

- واو! قالَ فادي. يُخَيَّلُ إليَّ أنَّهُ يَشْعُرُ بِتَحَسُّنٍ.

وَسارَعَ الحيَوانُ في العَوْدَةِ باتِّجاهِ صَديقتِه الجَديدةِ. ودائِماً تَحْتَ الماءِ أخذَ الدُّلفينُ يُداعِبُها.

- تَوَقَّفْ! اعْتَرَضَتْ مُنى وهي تَضْحَكُ تَحْتَ تأثيرِ

دَغْدَغتِهِ. سَتَجْعَلُني أُصَدِّقُك!

اسْتَجابَ الدُّلفينُ وهو يُخْرِجُ مِنْ فَمِهِ فَقاقيعَ الهَواءِ، عَلامةَ شُعُورِهِ بالسُّرورِ.

كانَ التيَّارُ قد شَجَّعَ روّادَ السِّباحةِ على العَوْدَةِ إلى الجِسْرِ المُتحرِّكِ. اقْتَرَبَ سَمُّوس مِنْ حافَّةِ الجِسْرِ بِحَذَرٍ.

- إليكُمْ كاميرا التَّصْويرِ، صَرَخَ وليد، التَقِطُوها!

- تَعالَ مَعَنا، اقْتَرَحَ فادي.

- إيه... هَلْ أَنْتُم مُتَأَكِّدُونَ؟ إنَّه يُدْهِشُني بأسْنانِه الحادَّة.

أخَذَتْ مُنى تُقَهْقِهُ من الضَّحِك:

- إنّ الدّلافين لا تُهاجِمُ البَشَرَ، وهيَ لا تأكُلُ إلاّ الأسْماكَ.

وبالرُّغْمِ مِنْ خَوْفِهِ تَحَرَّقَ وليدٌ شَوْقاً لِلْغَطْسِ. تَرَدَّدَ لِثانِيَتَيْنِ، ثُمَّ سَدَّ أنفَهُ وقَفَزَ في مِياهِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ الزَّرْقاءِ.

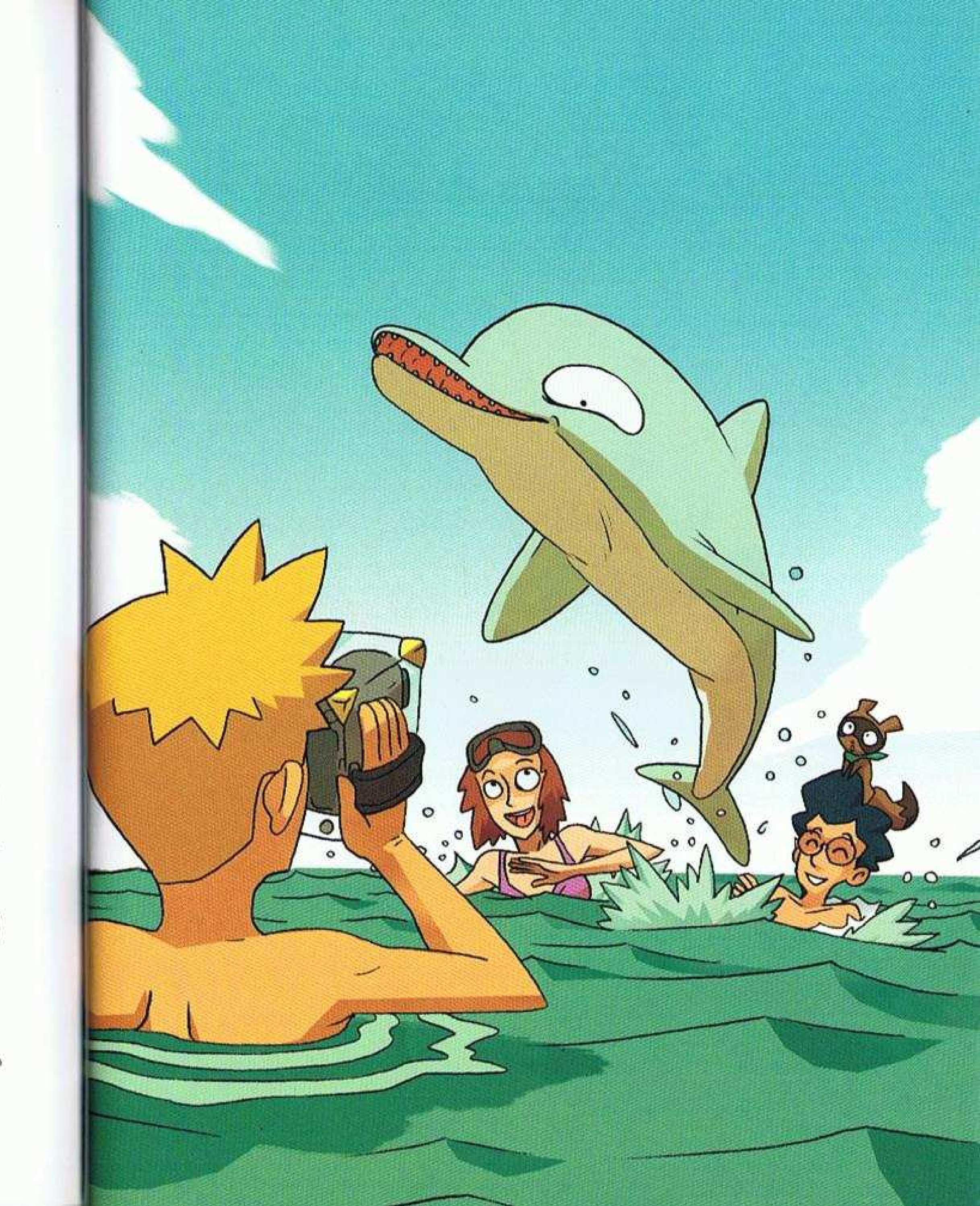
أَنْقَذَتْ مُنى دُلفيناً، انغرَسَتْ صِنّارةُ صَيْدٍ بإحْدَى زَعانفِه.

الفَصْلُ الثّاني

اخْتِطَافٌ

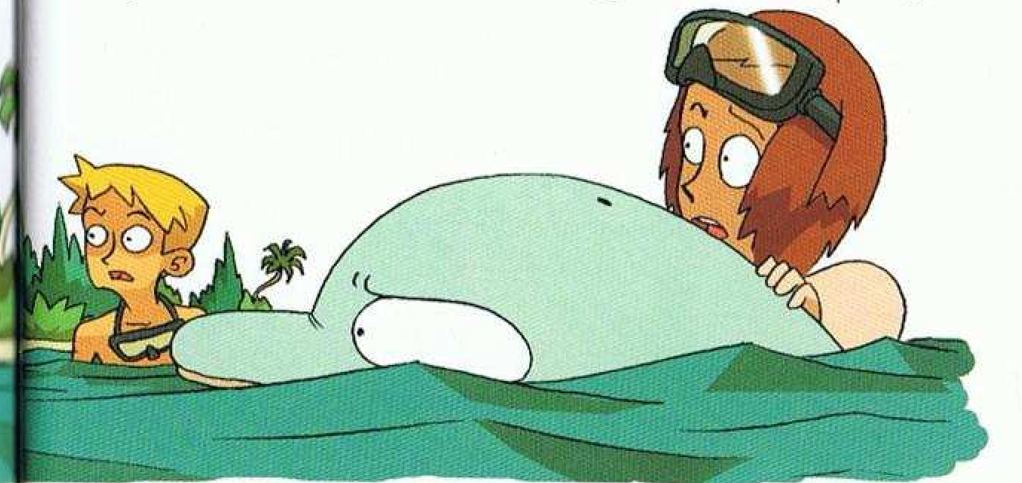
أَمْضَى حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ بَقيَّةَ يَوْمِهِم مَعَ الدُّلفين. وأخذَ فادي يَلْتَقِطُ له بَعْضَ الصُّوَرِ بينَما كانَ يَسْبَحُ بالقُرْبِ مِنْهُم. ومِنْ وَقْتٍ لآخَر، كانَ هذا الحَيوانُ المُدْهِشُ يَنْتَصِبُ خارِجَ المَاءِ ويُطْلِقُ أصْواتاً مُشابِهةً لِصَيْحاتِ الضَّحِك. وانْضَمَّ أولادٌ آخَرُونَ إلى هَذا الثُّلاثيّ، ولكِنَّ الدُّلْفينَ تَعَمَّدَ تَجَنُّبَهم ولَمْ يَدَعْ أحداً يَلْمِسَهُ إلاّ الَّتي أَنْقَذَتْهُ مِنْ تِلْكَ الصِّنّارة.

كانَ الجَوُّ مُفْعَماً بالفَرَحِ مِمّا دَفَعَ سَمّوس للاسْتِحْمامِ هو الآخَرُ بَعْدَ الظُّهْرِ.



وكانَ النَّهارُ قد شارَفَ عَلَى نِهايتِه، عِنْدَمَا تَوَقّفتْ بسُرْعةٍ شَاحِنةٌ صَغيرَةٌ حَمْراءُ عِنْدَ الشَّاطِىء. وَقَدْ تَرَجَّلَ مِنْها ثَلاثةُ رِجالٍ عَلى عَجَل.

- هاي أَنْتُم! شَابَ مُنى فَجْأةً بَعْضُ القَلَقِ حينَ وَقَعَ نَظَرُها على هَؤُلاءِ الغُرَباءِ وفي حَوْزَتِهم شِباكٌ واسِعَةٌ.
- ماذا يَنْوي هَؤُلاءِ فِعْلَه؟
- أَخْشى أنْ لا يَكُونوا قادِمِينَ فَقَطْ بِقَصْدِ الاسْتِحْمامِ. هَتَفَ فادي مُحَذِّراً.
- هَلْ أنتُمْ فَرنسيّونَ؟ طَرَحَ أَكْبَرُ الغُرَباءِ سِنّاً السُّؤالَ عَلَيْهِم



وهو يَتَقَدَّمُ نَحْوَهُم.

- نعم. أجابَ وليد.
- لا تَتَحَرَّكُوا. إنَّ اسْمِيَ عصمت نور ودولفي تَخُصُّني وَقَدْ حَضَرْتُ لاسْتِعَادتِها.

لَمْ يتوفَّرِ الوَقْتُ الكَافي للأولادِ لِكَيْ يَتصرَّفوا. نَزَلَ الرِّجَالُ الثَّلاثَةُ إلى الماءِ فيمَا قامَ أَحَدُهُم بإِلْقاءِ الشِّباكِ عَلَى دولفي. وَعَلى الفَوْرِ وَقَعَتِ الدُّلفينُ في الشَّرَكِ، وجَرَى سَحْبُها إلى الشَّاطِىءِ.

- ولَكِنْ إلى أيْنَ تَأْخُذُونَها؟ سَأَلَ فادي.
- إلى الحَوْضِ المُسْتَقْبليّ الَّذي أَعْدَدْتُهُ لِرِعَايَةِ الدَّلافين.



لَقَدْ هَرَبَتْ مُنْذُ الصَّباحِ الباكرِ. سَنَفتَتِحُ الحَوْضَ خِلالَ شهرٍ ابْتِداءً مِنَ اليوم. وبَدَلَ أَنْ تَخْضَعَ لِلْتَدْريبِ، لا تُفَكِّرُ هذِهِ الكَسُولَةُ إلاّ في الهَرَبِ.

وبَواسِطَةِ العِصِيّ الطَّويلةِ التي أُدْخِلَتْ في الشِّباكِ، رَفَعَ الرِّجالُ الثلاثةُ دولفي خارِجَ المِياهِ ونَقَلُوها إلى الشَّاحِنَةِ.

- دولفي أيتها المَسْكينةُ، هَمَسَتْ مُنى وهي تَلْحَقُ بِصديقَتِها. إنَّكِ تَرْتَجِفينَ خَوْفاً.

اسْتَدارَتْ مُنى نَحْوَ الغُرَباءِ واسْتَطْرَدَتْ قائِلَةً:

- لا يُمْكِنُكُم نَقْلُها بهذهِ الطَّريقةِ، كانَ عَلَيْكُم تَرْطِيبَ جِلْدِها

بِالماءِ وإلاَّ فَسَوْفَ تجِفُّ وتَحْترِقُ تحْتَ أشِعَّةِ الشَّمْسِ...

- حَسَناً... سَأُبَلِّغُ ذلكَ لِلمُوظَفِينَ، أكّدَ السَّيِّدُ عصمت وَهْوَ يَجْلِسُ وَراءَ المِقْوَدِ. لا تَقْلَقُوا فَحَوْضُ الدَّلافينِ ليسَ ببَعِيدٍ.

ثُمَّ أخْرَجَ من جَيْبِهِ بطاقَةً بَيْضاءَ صَغيرةً وأضافَ:

- هذا هوَ العُنْوانُ. احْضُروا غداً في تَمامِ العاشِرَةِ صَباحاً. فَسَأَدَعَكُم تُراقِبُونَ التَّدريباتِ. في المُقابِلِ سَتُؤمِّنونَ لي شَيْئاً مِنَ الدِّعايَةِ عَبْرَ التَّرْويجِ بأنَّ العَرْضَ مُذْهِلٌ.

انْطَلَقَتِ الشَّاحِنَةُ الصَّغيرةُ باندِفاعٍ وتَرَكَتِ الشَّاطِىءَ مُخَلِّفَةً وَراءَها غَيْمَةً مِنَ الغُبارِ...

عِنْدَما عادَ السَّيِّدُ والسَّيِّدةُ نعيم بَعْدَ ساعةٍ مِنَ الزَّمَنِ مَعَ ناديا، سَارَعَ حُرّاسُ الطَّبيعَةِ لإبلاغِهِم بكلِّ ما حَدَثَ.

- «عصمت نور» هو عَسْكَرِيٌّ مُتَقَاعِدٌ، أَوْضَحَتْ عالِمَةُ البيولوجيَا الشَّابةُ وَهي تَتَفَحَّصُ الصُّورَ الّتي الْتَقَطَها فادي. إنَّه صَاحِبُ الوَرْشَةِ البَحْرِيَّةِ القَديمَةِ المَوْجُودَةِ في الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ البَلْدةِ. أَخْشَى أَنْ لا يَكُونَ على دِرايَةٍ واسِعَةٍ بِشُؤُونِ الدَّلافينِ وَأَنْ يُعامِلَ هَذِه الأُنْثى الفَتيَّة، الدُّلفينَةَ الزَّرقاءَ، دُونَ أن يُعيرَهَا أيَّ اهْتِمام.

- لَمْ يكُنْ يُدْرِكُ البَتَّةَ، أوضَحَتْ مُنى. كانَ يتوجَّبُ عليه تَرْطيبَ جِلْدَها بالمَاءِ مِنْ أجْلِ نَقْلِها في الهَواءِ الطَّلْقِ. ناديا، أَرْجُوكِ اذْهَبي وَتحقَّقي إنْ كانَتْ تتَلَقَّى مُعامَلَةً حَسَنةً! إنَّني بحاجةٍ للاطْمِئْنانِ عَلَيْها.

- هذا صَحيحٌ، قالَت السَّيِّدةُ نعيم آسِفَةً، إن بَعْضَ مالِكي الدَّلافينِ لا يُدْرِكُونَ دائماً ما يُلْحِقونَه بها مِنْ أذىً. لكنَّ هُناكَ طَريقَةً لِمَعْرِفَةِ ما يَحْصَل: إنَّ الدَّلافينَ تَعْشَقُ لَمْسَ

كُلَّ ما يُحيطُ بها بِمُقدِّمَةِ ذَقْنِها. وإنَّ ظُهُورَ بَعْضِ الجُرُوحِ في هَذا المَكَانِ لَمُؤَشِّرٌ واضِحٌ على احْتِجازِها داخِلَ حَوْضٍ ضَيِّقٍ أو أنَّ جُدْرانَهُ خَشِنة.

- لقدْ كانَ ذَقْنُ دُلفي مُتَضرِّراً قليلاً، تَذَكَّرَ وليدٌ. ولكِنَّ رُبَّما كانَ الأَمْرُ مُجَرَّدَ نُدْبات.

- خَسَارةٌ يا فادي، فَصُوَرُكَ لا تَسْمحُ بِمُلاحَظَةِ ذلكَ، تأسَّفَ السَّيِّدُ نعيم. لأنَّهُ قبلَ تَوْجيهِ الاتِّهام، يَجِبُ التأكُّدُ مِنَ الأَمْرِ!

اسْتَأْنَفَت ناديا الحَديثَ وقَدْ بَدَا عَلَيْها القَلَقُ:

- السَّيِّدُ عصمت ماكِرٌ. لن يَسْمَحَ لأيٍّ كانَ بالتَّفْتِيشِ داخِلَ مُنْشآتِه.

- مَمْنُوعٌ على الرَّاشِدينَ، أجابَت مُنى، ولكِنَّ أولاداً مِثْلَنا لَنْ يَأْخُذُوا جانِبَ الحَذَرِ إزاءَهُم!

لَوَّحَتْ مُنى بالبِطاقَةِ وقَدْ دُوِّنَ عَلَيْها العُنْوانُ الخاصُّ بحَوْضِ السِّباحَةِ وأضافَت:

- إنّه يتطلعُ للفَوْزِ بالدِّعايَة؟! سَيَتفاجأ...

دُولفي تابِعةٌ لِحَوْضِ الدلافينِ. وحرَّاسُ الطَّبيعةِ، القَلِقونَ عليها، قرّروا أنْ يَقُوموا بِجَوْلةٍ هُناكَ.

الفَصْلُ الثَّالِث

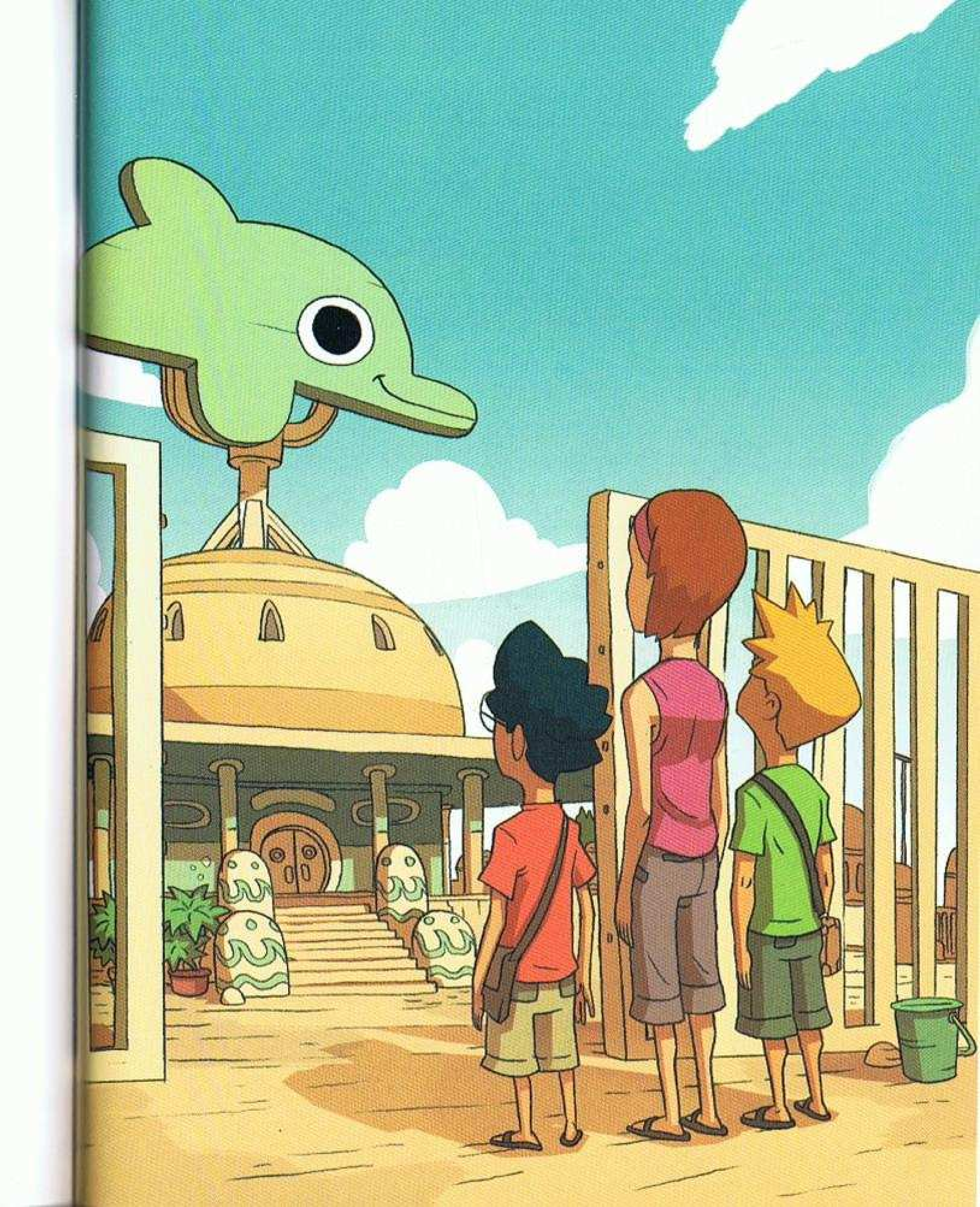
التَّحقيق

عِنْدَ السَّاعَةِ العاشِرَةِ مِنْ صَبيحَةِ اليَوْمِ التَّالِي تَطَلَّعَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ بِأَعْيُنٍ مِلْؤُها الدَّهْشَةِ إلى مُجَسَّمٍ لِدُلْفينٍ يَكَادُ يَكُونُ بِحَجْمِ حافِلَةٍ، نُصِبَ عَلَى قِمَّةِ سارِيَةٍ ضَخْمَةٍ.

– هُنا، هَتَفَ وليدٌ، إنَّهُ لَعَمَلٌ خارِقٌ.

– ومِنَ الجِهَةِ الخَلْفِيَّةِ، أضافَ فادي. فالمَبْنَى يَتَّخِذُ شَكْلَ دُلْفينٍ، فَضْلاً عَنْ مَطْعَمٍ عَلَى شَكْلِ شُرْفَةٍ كبيرةٍ مُواجِهاً لِلْبَحْرِ... إنَّه لَشَيْءٌ عَظيمٌ!

– ياه! تَذَمَّرَتْ مُنى وَهِيَ تَقْرَعُ جَرَسَ بابِ المَدْخَلِ الحَديدِيّ... كُلُّ ذلكَ لا يَدُلُّ عَلى أنَّ دُولفي تَحظَى بِمُعامَلَةٍ جَيِّدَةٍ.

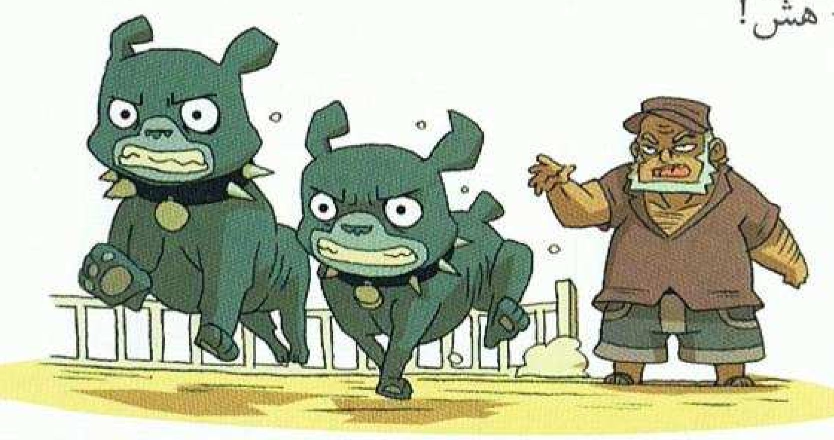


هجمَ كلْبانِ ضخْمان وَأخذا ينْبحان.

- في كُلِّ الأَحْوال، أَشارَ وليدٌ وهو يتراجعُ خُطْوةً إلى الوراءِ، إنَّها تحْتَ حِراسَةٍ مُشَدَّدةٍ!

ظهَرَ السَّيِّدُ عصمت وأمرَ كِلابَهُ بالصَّمْتِ:

- هشّ!



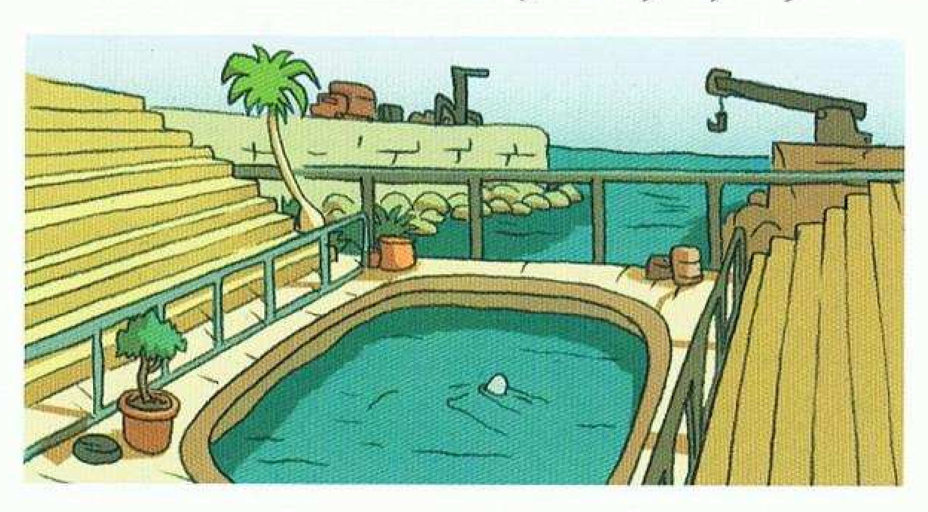
واسْتَدارَ بعدَ ذلكَ نَحْوَ الأولادِ وعَلى فَمِهِ ابْتِسامَةٌ عَريضَةٌ:

- هل عَثَرَ علينا هؤلاءِ الفرنسيُّونَ الصِّغارُ دونَ مَشَقَّةٍ؟

- لكنتُ وَصَلْتُ حتَّى دُونَ أنْ أَضعَ نَظَّارتي على عَيْنَيَّ. هتفَ وليدٌ مازحاً وَهُوَ يُشيرُ بإصْبعِهِ إلى تِمْثالِ الدُّلْفينِ المُهيبِ.

- مُذْهِلٌ أليسَ كذلكَ؟ اتْبَعوني. الجَوُّ أفْضَلُ في الدَّاخِلِ. احْضُنوا النِّمْسَ بين أَذْرِعَتِكم. لا أودُّ أنْ تُلحِقَ كِلابُ السَّيد عِصْمَت بهِ الأَذى.

لَمْ يَسْتَطِعْ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ أنْ يَكْبِتُوا أنْفُسَهُم مِنْ إطْلاقِ عبارَاتِ تَعَجُّبٍ وهُمْ يَدْخُلونَ المَبْنى الضَّخْمَ. أمامَ مَقاعِدِ المَدْرَجِ، بدا حَوْضُ سِباحَةٍ يَطْفَحُ بالمِياهِ الصَّافيَةِ، تُحيطُ بِهِ شُتُولٌ اسْتِوائِيَّةٌ. وَعَلى مَسافَةٍ قَريبةٍ عَنْهُ، يوجَدُ فاصِلٌ زُجَاجِيٌّ كَبيرٌ يُطِلُّ على البَحْرِ مُباشَرَةً وبالتَّحْديدِ على جِسْرَين حَجَرِيَّيْنِ عائِمَيْنِ، مِنْ بقايا الوَرْشَةِ البَحْرِيَّةِ القَديمَةِ.



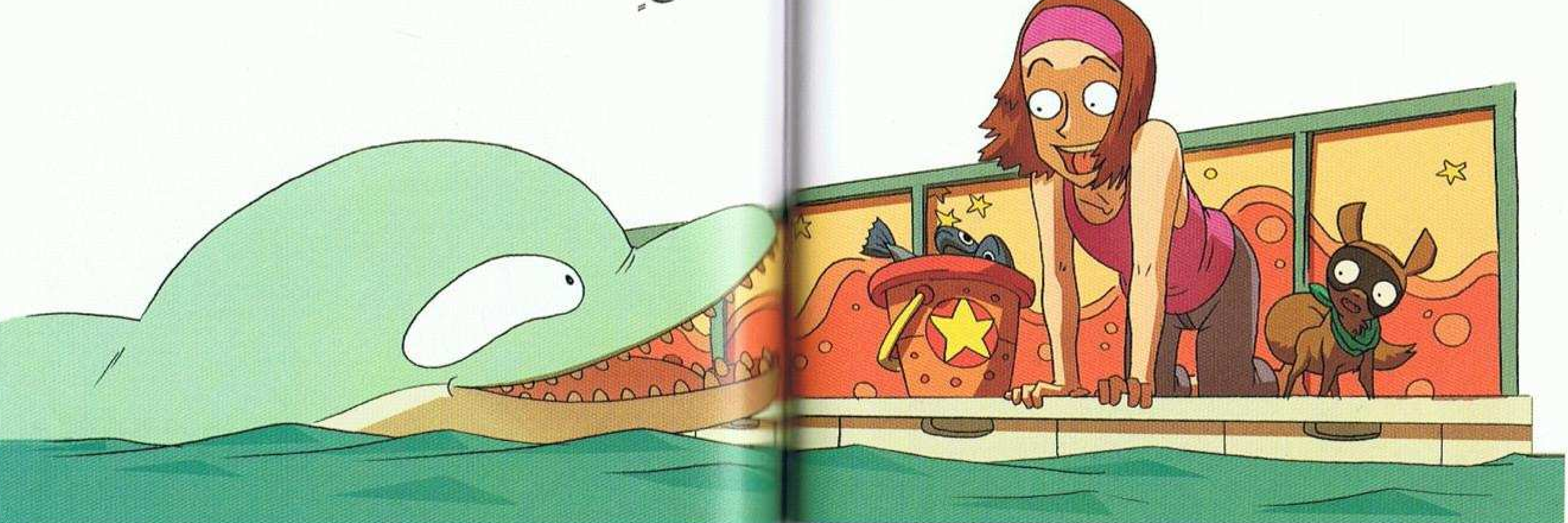
– بإمكانِكُم التِقَاطُ صُوَرٍ بقَدْرِ ما تَشاؤون، أَعْلَنَ السَّيِّدُ عصمت. وتَسْتَطيعُونَ أَيْضاً النُّزولَ عَبْرَ هذا الدَّرَجِ، كما بإمْكَانِكُم تَأَمُّلُ المِيَاهِ عَبْرَ الزُّجاجِ. دُولفي ومُدَرِّبُها لَنْ يَتأخَّرا. سَأَتْرُكُكُمْ إذْ إنَّ لَدَيَّ عَمَلٌ أقومُ بِهِ. أودُّ رُؤْيَتَكُم قبلَ أنْ تَرْحَلُوا، سَتُعْلِمونني بِمَا تُفَكِّرونَ بِهِ...

ما إنْ تَمكَّنَ فادي مِن أَخْذِ بَعْضِ الكليشاتِ لِلْمَبْنَى، حَتَّى ظَهَرَ رَأْسٌ مَأْلُوفٌ على سَطْحِ المَاءِ.

– دُولفي! تعجَّبَت مُنى وهُرِعَتْ إلى حَافَّةِ الحَوْضِ.

وبسُرْعَةٍ تَعَرَّفَتِ الدُّلْفِينَةُ على صَدِيقَتِها واقْتَرَبَتْ مِنْها وَهْيَ تُطلِقُ صَفِيراً حادّاً، إنَّهُ عَلامَةُ ابْتِهاجٍ عِنْدَ الدَّلافين.

قَفَزَ «سَمُّوس» عَنْ كَتِفِ وليد مُطْلِقاً بِدَوْرِهِ بِضْعَ صَيْحَاتِ فَرَحٍ.



وإذْ برجُلٍ مُرتدياً بزّةً منَ المطّاط الخاصِّ بالغَطْسِ يَدْخلُ منْ بابٍ جانبيٍّ، ثُمَّ نزلَ إلى الماءِ مُنادياً الدُّلْفينةَ، التي تردَّدتْ قبلَ أنْ تتْرُكَ الأَوْلادَ.

– هيّا انْطلقي، شجّعتْها منى وهيَ تُلاعبُ بهُدوءٍ ذقْنَها الرَّماديَّ. وبَعْدَها أرِني ما بوُسْعِكِ القِيامَ به...

أخذَ حُرّاسُ الطَّبيعةِ مقاعِدَهُم في الصَّفِّ الأوَّلِ مِنَ المَدْرَجِ ليَسْتَمْتِعوا بالمَشْهدِ.

– إنَّ قَلَقَنا ليْسَ لَهُ مُبرِّرٌ. هذا ما صرَّحَ بهِ فادي. ليسَ بإمْكانِ «دولفي» أنْ تَنْعَمَ بمَكانٍ أَفْضَل.

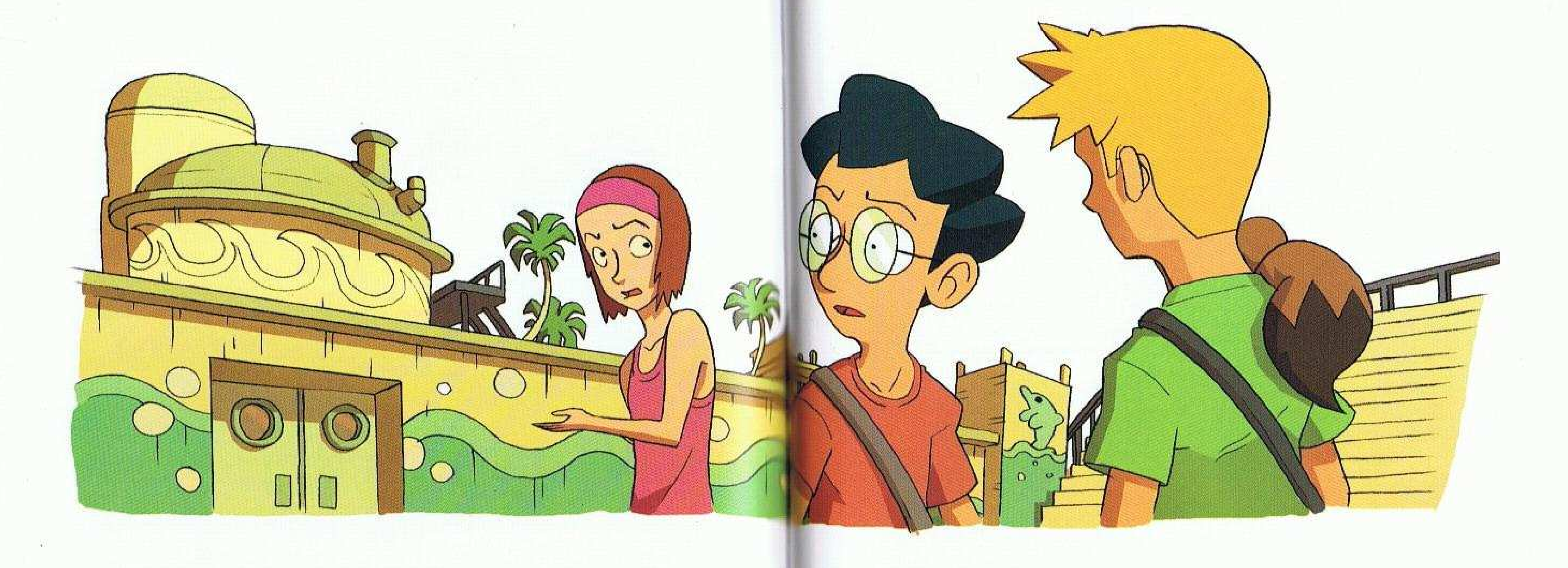
– لا أَعْلَم! أوضَحَت مُنى. انْظُرْ إليها، إنها تَرْفُضُ الاقْتِرابَ مِنْ مُدرِّبِها. ولا تَتجاوبُ معَ صَوْتِه. كانتْ أكْثرَ اندِماجاً البارحَةَ معَنا ومعَ أوْلادِ البَلْدَةِ. هَذا غريبٌ أؤكِّدُ لكُمْ ذلِك.

– رُبَّما لا تَشْعُرُ برَغْبَةٍ في اللَّعِبِ؟ لمَّحَ وليدٌ.

– ليسَتِ الدَّلافينُ بأسْماكٍ عاديَّةٍ إذْ لا يُمكنُنا احتِجازَها

في حَوْضِ ماءٍ، اعْتَرَضَتْ مُنى. إنَّها مِنَ الحَيَوانَاتِ اللَّبُونَةِ، تماماً مِثْلَنا. وهيَ عَلَى قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الذَّكاءِ. وبالنِّسْبَةِ لأحْجامِها فهيَ تَمْلُكُ دِماغاً أكْبَرَ مِنَ الدِّماغِ البَشَرِيِّ. قَرَأْتُ أَنَّها بحاجَةٍ ماسَّةٍ لِلْعَطْفِ ولِمَكانٍ فَسيحٍ لِلْعَيْشِ وإلاَّ فإنَّها تَسْتَسْلِمُ لِلْحُزْنِ وَتَموت.





- بالنِّسْبَةِ لِمَكَانٍ فَسيحٍ، فَهوَ مُتَوَفِّرٌ لها! لاحظَ فادي. لو امْتَلَكتُ حَوْضَ سِباحةٍ مُماثِلٍ، لكُنْتُ أصْبَحْتُ بَطَلَ سِباحَةٍ.

- إنّهُ حَوْضُ ماءٍ واسِعٍ، ولكِنْ لَعَلَّهُ لَيْسَ المَكانُ الَّذي تَوَاجَدَتْ فيهِ قَبْلَ أنْ تَصِلَ إلى هُنا. لقد أمْعَنْتُ النَّظَرَ في

ذَقْنِها، كَمَا أشَارَتْ عليَّ والِدَتي فإذا بِهِ مُصَابٌ بِبَعْضِ الخُدُوش.

الْتَفَتَتْ مُنى نَحْوَ البابِ الخَلْفِيّ وهْيَ تُعْلِن:

- أعْتَقِدُ أنّه مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْنا إلْقاءَ نَظْرَةٍ على تِلْكَ النَّاحيَةِ...



- تَوَقَّفي، اعْتَرَضَ فادي. السَّيِّدُ عصمت لَمْ يَقُلْ أَبداً إنّه يَحُقُّ لَنا في...
- إنّنا لَنْ نُلحِقَ الأذى بأَحَدٍ، قاطَعَتْهُ مُنى. إلْقاءُ نَظْرَةٍ فَقَط!

- مَرَّةٌ أخْرَى سَنَجْلِبُ لأنْفُسِنا المَتاعِبَ! حَذَّرَ «وليد».
- حَسَناً! قالتْ مُنى وهيَ تَبْتَعِدُ. بِما أَنَّكُمْ خائِفُون، سَأَنْطَلِقُ لِوَحْدِي بِرِفْقَةِ ويفي.
- وإنْ عادَ السَّيِّدُ عصمت وظَهَرَ مِنْ جَديدٍ؟ ماذا سَنَقُولُ لَهُ؟
- سَأقولُ له إنَّني أَبْحَثُ عَنْ دَوْرةِ المِياهِ!

وذُهِلَ الصَّبْيانُ لِجُرْأَةِ شَقيقَتِهِما.

- لنْ نَتْرُكَها بِمُفْرَدِها رُغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، تَمْتَمَ فادي.

وَهَبَّ الشَّقيقانُ بالسُّرْعَةِ نَفْسِها لِمُلاقاةِ مُنى في الكَوالِيسِ.

لاحظَت مُنى وُجودَ خُدوشٍ على ذَقْنِ دولفي، وفكَّرت أن ذلك دليلٌ كافٍ لاسْتِكْشافِ الأجْواءِ المُحيطَةِ.

الفَصْلُ الرّابِع

زيارةٌ في الكواليسِ

– هيه، هَمَسَ وليدٌ: إنَّ الظلامَ حالِكٌ هُنا.

– صَبْراً! سَتَعْتادُ أعْيُنُكُم علَيْه...

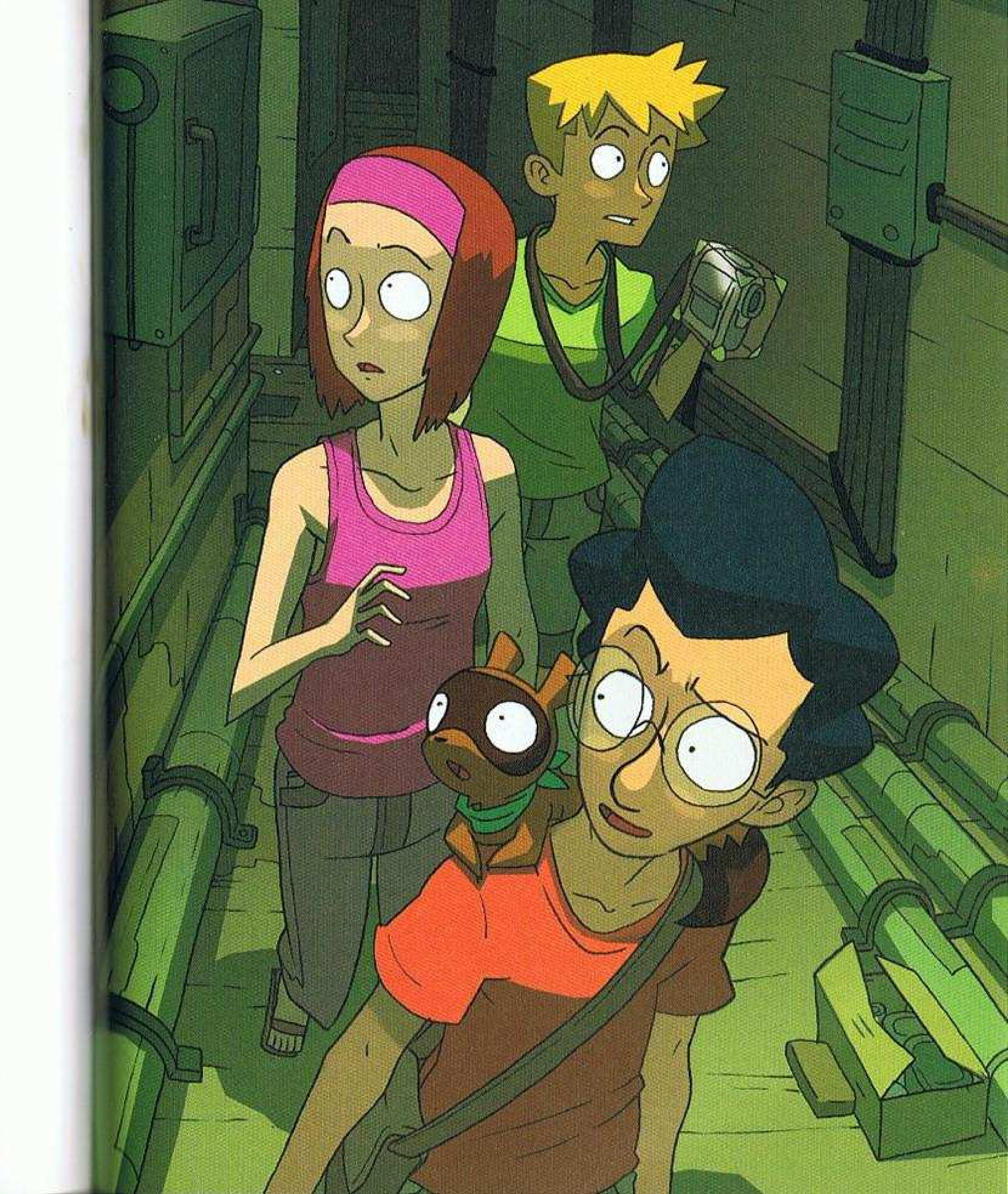
فَجْأةً أُشْعِلَ صَفٌّ مِنَ الأَنْوارِ. فصَرَخَ فادي:

– امْكُثوا في أَماكِنِكُم!

– لا تَرْتَعِبوا، قالَ وليد. هَذا أنا، لَقَدْ وَجَدْتُ مفتاحَ التَّيارِ.

وأخذَ الأَوْلادُ الثَّلاثَةُ ونِمْسُهم يَسْتَكْشِفونَ القَبْوَ.

الْتقطَ فادي صُوراً لمَكانٍ يَحْوي عَشْرَةَ أنابيبَ ضَخْمَةٍ تُفْضِي إلى مَضَخَّةٍ جَرى تَفْكيكُ مُحَرِّكِها.



- يمكنُنَا القَوْلَ إنَّ السَّيِّدَ عصمت يُواجِهُ بَعْضَ المَشَاكِلِ التِّقنيَةِ، عَلَّقَ وليد.

واكْتَشَفَ الثُّلاثيُّ في الغُرْفَةِ التَّاليةِ حَوْضاً صَغيرَ الحَجْمِ، مَوْصُولاً بحَوْضِ السِّباحَةِ الكَبيرِ عَبْرَ قَناةٍ ضَيِّقَةٍ، تُفتَحُ وتُغلَقُ حَسْبَ الحاجة، وهيَ مِنْ النَّوعِ العازِلِ لِلْمِيَّاهِ.

- كنتُ أشُكُّ بالأَمْرِ! قالَت مُنى! إنَّ حَوْضَ السِّباحةِ الفَخْمِ لا يُسْتَخْدَمُ إلاّ للتَّدْريباتِ. أمّا باقِي الوَقْتِ، فَدُولفي تَكُونُ هُنا. انظُروا كيفَ تَبْدو المياهُ خَضْراءَ اللَّوْنِ، وذَاتُ رائِحَةٍ كَريهةٍ!

- أمّا جُدْرَانُهُ الداخليَّةُ فليسَتْ مَلْسَاء. عبَّرَ وليدٌ عن غَيْظِهِ وهو يُمرِّرُ يَدَيْهِ على حافَّةٍ مِنَ الباطُونِ.

وفَجْأةً انْفَتَحَ بابٌ بِعُنْفٍ. فإذا بالسَّيِّدِ عصمت يَظْهَرُ!

- شِلَّةٌ من المُتَطَفِّلينَ الصِّغارِ! يا إلهي!

ولِتَوِّهِ انْتَزَعَ كاميرا التَّصْويرِ مِنْ يَدَيّ فادي وَأَلْقَى بها بِغَضَبٍ في وَسْطِ الحَوْضِ.



- والآن، هيَّا إلى الخَارجِ! هَلْ تَسْمعُونَني؟ إلى الخارجِ!!!

- لَحْظَة، رَدَّتْ عليهِ مُنى. إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ تَبْرِئَةَ نَفْسِكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. إنَّ وُجُودَ هذه المياهِ الآسِنَةِ غَيْرُ مَقْبُولٍ!

- ليسَ بإمْكَاني فِعْلُ شَيْءٍ، لَقَدِ احْتَرَقَ مُحَرِّكُ المَضَخَّةِ القَديمَةِ، وأنا بانْتِظَارِ قِطَعِ الغِيارِ مُنْذُ شَهْرَيْنِ!

- وبالنِّسْبَةِ لِجُدْرانِ الباطُونِ؟ صَرَخَت مُنى، هل أنْتَ بانْتِظارِ قِطَعَ الغِيارِ أَيْضاً؟

- ما بهَا تلكَ الجُدْرَانُ؟

- سَنُطْلع أَهَالينَا علَى كُلِّ شَيْءٍ! إنَّهم صَحافيُّون و...

أخذَ وليدٌ وفادي يَتَغامَزَانِ، ولَمْ تكنْ شَقيقتُهما قَدْ أَتَمَّتْ كَلامَها حتَّى أَمْسَكَ كلٌّ مِنْهُمَا بِذِرَاعِها.

- انْسي الأَمْرَ، تَمْتَمَ وليد.

- ولكِنْ...

- اصْغي إلينَا ولو لِمَرَّةٍ واحِدةٍ. هَمَسَ فادي وهو يَشْمُلُها بِنَظْرَةِ اسْتِعْطَاف.

- عُذْراً يا سَيِّد عصمت. أَعْلَنَ وليدٌ. لَقَدِ اضْطُرِرْنا إلى أَنْ نَنْساقَ وَراءَ شَقيقَتِنا. سَوْفَ نَخْرُجُ في الحَالِ.

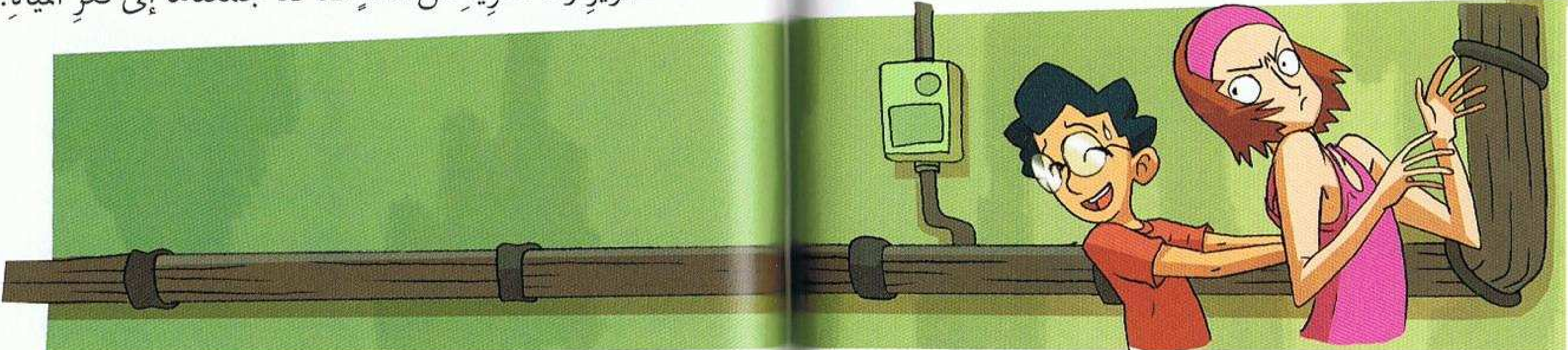
عِنـدَمـا أُغْـلِقَـتْ بَوَّابةُ حَوْضِ الدَّلافينِ وَراءَ الأولادِ الثَّلاثَةِ وبقُوَّةٍ انْفجَرَتْ مُنى في وَجْهِهما قائلَةً:

- كيفَ تَخَلَّيْتُم عَنّي! لم يَشَأْ أحدُكُم الدِّفاعَ عَنْ دولفي. لو لَمْ أَتَمالَكْ نفْسِي، لا...

رَفَعَ فادي يَديهِ مُحاوِلاً تَهْدِئَتِها.

- هَدِّئي مِنْ رَوْعِك...

- أَهدأْ؟! لِمَ يَنْبَغِي عليَّ أنْ أَهْدَأ؟ هَلاَّ أَعْطَيْتَني سَبَباً وَجيهاً؟ وبَدَلَ أنْ يُنْصِتَ عصمت إلينَا، قامَ برَمْيِ كاميرا التَّصْويرِ وما تَحْوِيهِ من أدلَّةٍ كنَّا قَدْ جمَعْنَاهَا إلى قَعْرِ المياهِ.



أجابَ وليد بابْتِسامَةٍ تَحمِلُ الكَثيرَ مِنَ المَعاني:

- لَدينا خُطَّةٌ لاسْتعادَتِها.

- وماذا بَعد؟ لم تُعْدِ الكاميرا صالِحةً للاسْتِعْمال بَعْدَ سُقوطِها في الماءِ.

فَكَرّتْ مُنى لِلَحْظَةٍ، ثمّ اسْتَطْرَدَتْ قائلَةً:

- هذا صَحيحٌ، ولكنْ يَبْقى أَمامَنا قَضِيَّةُ الكَلْبَيْن. فَما العَمَلُ إذاً؟ هل سَتُوفِّرونَ لهُما سُبُلَ النَّومِ الهَنِيءِ؟

- قُلْتُ لَكِ إنَّ لَدينا خُطَّةً...، قال فادي.

هَذا المَساءُ بالذَّاتِ، ومَعَ حُلُولِ الظَّلام، لَمْ يُلاحِظْ أَحَدٌ ظِلالَ الأشخاصِ الأربعَةِ في مُحيطِ حَوْضِ الدّلافينِ.

- هَل نَذْهَب؟ هَمَسَ فادي.

- لأَجْلِ دُولفي، أَجابَت مُنى!

- لأَجْلِ دُولفي! رَدّدَ وليدٌ الّذي كانَ يُفَضّلُ البَقاءَ عندَ ناديا لِتَشْغيلِ الحاسُوبِ.

تَسَلَّقَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ، مُزَوَّدونَ بِمَصابيحَ الإنارَةِ، حائطاً ضِمْنَ أَمْلاكِ السَّيِّد عصمت. وفَوراً هَبَّ الكَلْبانِ الضَّخْمان لِتَرْهِيبِ الغُرَباءِ. هَمَسَ وليد في أُذنِ نِمْسِه:



- سَمُّوس سَنَحْبِسُ أَنْفاسَنا، حانَ دَوْرُكَ الآن!

قفزَ النِّمْسُ الأكثرُ شَجاعةً أمامَ الكِلابِ، واسْتَدار رافِعاً ذيلَهُ وأَطْلَقَ سِلاحَه السِّرّي. إذْ ما مِنْ حَيوانٍ يَسْتَطيعُ تحمُّلُ رائِحَةَ نِمْسٍ غاضِبٍ. ما حَصَلَ فاجَأَ الكَلْبَيْنِ اللَّذَيْنِ لاذا بالفِرارِ.

وبعدَ مُرورِ ثلاثِ دقائق، وَجَدَ كلٌّ من مُنى ووليد وفادي وسَمُّوس أَنْفُسَهُم أمامَ حَوْضِ دُولفي.

أَخَذَتِ الدُّلْفينةُ تُطْلِقُ صَفيراً مُطَوَّلاً ابْتِهاجاً مِنْها بلِقاءِ أَصْدِقائِها القَادمين.

- سنساعِدُكِ، وَعدَتْ مُنى وهي تَضُمُّها بَيْنَ ذِراعَيْها.

وأَخْرَجَ فادي قِناعاً مِنْ حَقيبةٍ صَغيرةٍ وغَطَسَ بَحْثاً عَنْ كاميرا التّصْوير. الحَوْضُ لَمْ يكُنْ واسِعاً جدّاً، ولكنَّهُ عَميقٌ ومياهُهُ كانَتْ عَكِرَة.



- لا أَرَى بوُضُوحٍ، هذا ما قالَه فادي بعدَ مُحاوَلاتٍ عِدَّة.

- حاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى، أصَرَّتْ مُنى. لم نأتِ إلى هنا لِنَعُودَ خائِبين.

ولِلَحْظةٍ كانَتِ الدُّلفينةُ تُراقِبُ أصْدِقاءَها بعَيْنَيها الواسِعَتَيْن. أَطْلَقَت عِدَّةَ صَيْحاتٍ، ثمَّ غَطَسَت في الماء، وغَطَسَ فادي وَراءَها ولَمْ يُصَدِّقْ عَيْنَيْه عندَما بَدَتْ دولْفي وكأنَّها تَنْتَظِرُه، أخذَ يَسْبحُ باتِّجاهِها، ثُمَّ تبِعَها حَتّى آخِرَ الحَوْض، وفَجْأةً شاهَدَ كاميرا التَّصْوير.

- وَجَدْتُها، أعلنَ فادي مُنْتَصِراً وهو يُعاوِدُ الظُّهورَ على سَطْحِ الماءِ. هذا... هذا لا يُصَدَّق. لقد ساعَدَتْني دُولْفي على إيجادِها!

طَبَعَتْ مُنى قُبْلَةً كبيرةً على ذقنِ الدُّلفينةِ، وهتفَت:

- أنتِ الأَفْضَلُ، يا جميلَتي، وسَنَعُودُ لِنَراكِ. نَعِدُكِ بذلكَ!

لقد ألْقى عصمت نور بعُنْفٍ بكاميرا التّصْوير إلى الماء. غيرَ أنَّ حراسَ الطَّبيعَة اسْتَعادوها بفَضْلِ دُولْفي.

الفَصْلُ الخامِس

الحَرْبُ؟

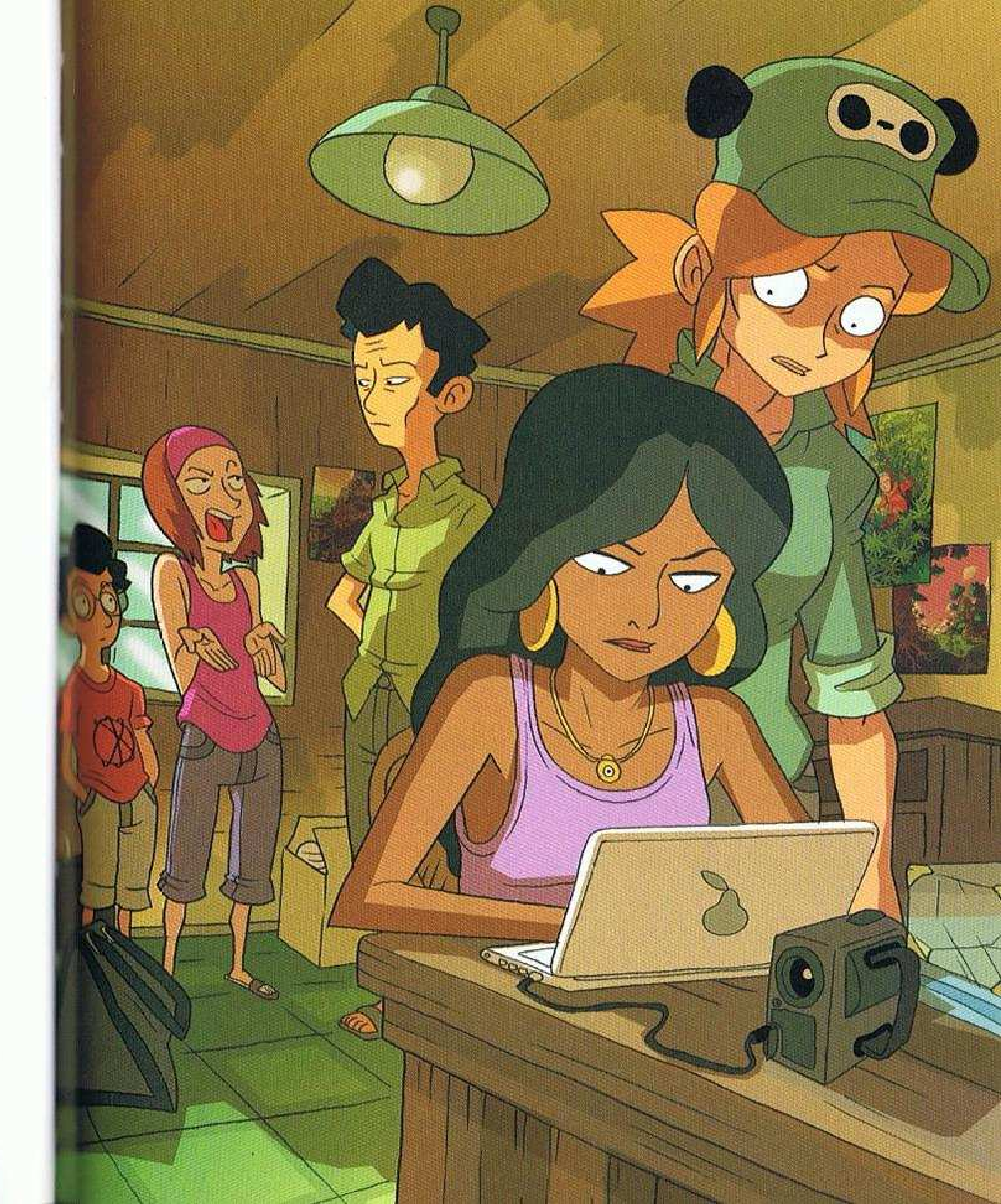
في اليومِ التَّالي، عَرَضَ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ الصُّوَرَ على نادِيا وعَلى أَهْلِهِم.

- والآن وبِما أنَّنا قد حَصَلْنا على الأدِلَّةِ، تَساءَلَ السَّيِّدُ نعيم، ماذا بإمكانِنا أنْ نَفْعَلَه؟

أجابَتْ مُنى بِحِدّتِها المَعْهُودَة:

- يَتَوجَّبُ على السَّيِّدِ عصمت أنْ يُطْلِقَ سَراحَ دُولْفي. إذ إنَّه لا يَعْرِفُ شَيْئاً عنهَا. ولا يَحُقُّ له الاحْتِفاظَ بها!

- أنا أحْتَرِمُ رأيَك، تدخَّلَتْ نادِيا، غَيْرَ أنَّ السَّيِّدَ عصمت كان قد أنْشَأَ بِناءً كَلَّفهُ حَتْماً أموالاً طائِلَةً، وهو لَنْ يَتَراجَعَ بِسُهولَةٍ عَنْ مَشْروعِه.



- ناديا على حقٍّ، قالَ فادي. يَجِبُ أولاً إجْبارُهُ على إصْلاحِ المَضخّةِ.

- والعَمَلُ على صَقْلِ الجُدْرانِ، أضافَ وليد.

- حسناً.... عاوَدَتْ مُنى الكلامَ وهي مُغْتاظَةٌ. ولكِنْ لِكَي يُنْصِتَ إلينا، يَجِبُ إقْناعُهُ بالمَنْطِقِ. سنَنْشُرُ صُوَرَنا على موقِعِنا. ونُطْلِعُ عَلَيْها كلٌّ مِنْ صَحافيي البلادِ والجَمْعيّاتِ المُهْتَمَّةِ بحِمايَةِ الطَّبيعَةِ.

وتابَعَتْ ناديا:

- أُشاطِرُكم هذا الرَّأيُ. أنا أَعْرِفُ العَديدَ مِمَّنْ يَهْتَمُّونَ بالدَّلافينِ. وأَعْلَمُ أنَّهم سَيَمُدّونَ لنا يدَ العَوْنِ!

حَنَتْ السَّيِّدةُ نعيم رَأسَها قليلاً وقالَتْ بلَهْجَةٍ خافتة:

- ناديا، أيُّها الأولادُ، أَعْرِفُ أنَّكُم لَشغُوفينَ بِالقَضِيَّةِ، إنَّني مُولَعَةٌ بكُمْ ولكِنْ حَذارِ أنْ تَنْجَرِفُوا...

تَعَجَّبَ وليد:

- لِمَ تَقُولينَ ذلكَ يا أُمّاهُ، أَلَسْتِ مِنْ رَأْينا؟

- لِمُساعَدَةِ هذهِ المِسْكينةُ دُولفي؟ بالطَّبْعِ نَعَم! ولكِنْ قَبلَ إعْلانِ الحَرْبِ عَلَيْه، لِمَ لا نُحاولُ جَميعاً، بكُلِّ بَساطةٍ، مُناقَشَةَ السَّيِّد عصمت؟

- لقد تَسَلَّلْتُمْ إلى مَمَرَّاتِ حَوْضِ الدَّلافينِ دونَ إذنٍ مِنْه، عَلَّقَ السَّيِّدُ نعيم، وإنّ لديهِ سَبَباً مُوجِباً للغَضَب. فَلْنُفكِّرْ سَوياً ودَعُونا نَجِدُ حلاً مُناسِباً لِمُشْكِلَةِ دُولفي، وأيضاً لعصمت! ناديا، ألستِ مَن حَدَّثَنا يَوْماً عن الدَّلافينِ الَّتي تتمَتَّعُ بما يُشْبِهُ الحُرِّيةِ؟ اشْرَحي لنا مُجدَّداً عن ماهيَةِ الفِكْرَةِ بالتَّحْديدِ...



وقبلَ حُلولِ الظُّهْرِ بقَليلٍ، كانَتْ ناديا وعائلةُ السَّيِّدِ نعيم يَقْرَعُونَ بَوَّابةَ حَوْضِ الدَّلافينِ وبحَوْزَتِهِم مَشْرُوعَهُمُ الهامّ الَّذي يَنْوُونَ عَرْضَهُ على السَّيِّدِ عصمت. هل سَيَقْتَنِعُ العَسْكَرِيُّ السَّابقُ، بِقَدْرِ اقْتِنَاعِنا، بما سَوْفَ نَعْرِضُه عَلَيْه؟ هذا ما تَمَنَّاهُ الجَميعُ. وفي كُلِّ الأَحْوالِ، كانَ كُلٌّ مِنْهُم قَد حَضَّرَ ما عَلَيهِ قَوْلَه لِتَوْفيرِ أَكْبرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ الفُرَصِ لِصَالحِ دُولْفي.

- سَيمْتَنِعُ السَّيِّدُ عصمت عَنِ اسْتِقْبالِكُم، أَخْبَرَهُم بذَلِكَ أَحَدُ مُوَظَّفِيهِ.

- اذْهَبْ وأَعْلِمْه، أجابتْ ناديا، بأنَّ الفَرَنسيّينَ الصِّغارَ قدِ اسْتَعَادوا كاميرا تَصْويرِ الفيديو وإنَّهُمْ يَرْغَبُونَ في التَّحَدُّثِ إلَيْه.

وَصَلَ عصمت بخُطًى سَريعةٍ إلى المَكَانِ وهوَ مُتَجهِّمُ الوَجْهِ.

- ماذا تُريدونَ أيْضاً؟ صاحَ بِهِم. هل أنتُمُ الأَهْلُ الصّحافيُّون؟



مِنَ الأَجْدَى بِكُمْ أنْ تُرَاقِبُوا أوْلادَكم عَنْ كَثَبٍ، بَدَلَ أَنْ تَتْرُكُوهمْ يَتَطَفَّلونَ على أيٍّ كانٍ!

أجابَ السَّيِّدُ نعيم بِهُدُوءٍ تامٍّ:

- نُقَدِّمُ لك خالِصَ اعْتِذارنا. مُنى ووليد وفادي مُجَرَّدُ أطْفَالٍ، صُدِموا مِنَ الطَّرِيقَةِ المُعْتَمَدَةِ فِي تَعامُلِكُم مَعَ دُولْفي. نَحْنُ لا نَطْلُبُ مِنْكُم سِوَى أنْ تُنْصِتوا إلَيْهِم...

- أوه، لا تُجْهِدُوا أَنْفُسَكم! لقد فَهِمْتُ. ستَطْلُبونَ مِنّي بأنْ أُطلِقَ سَرَاحَ دُولْفي. وإن رَفَضْتُ فَسَتُبَلِّغُونَ الصّحافيينَ مُدّعِينَ بأنَّ الدُّلْفينة تَتَلَقَّى مُعامَلَةً سيِّئةً. ولن يَزُورَني أيُّ سائحٍ، وسَيَنْتَهِي الأَمْرُ بي للإفْلاس.

- لقد فكّرنا بذلك، أقرّتِ السَّيِّدةُ نعيم. لكِنَّنا قَدَّرْنا أنكَ شَخْصٌ ذَكِيٌّ، وأنَّهُ مِنَ المُمْكِنِ إيْجادُ طَرِيقَةٍ أُخْرى لِعَرْضِها عَلَيْك...

حَبَسَ كلٌّ مِنْ مُنى ووليد وفادي أَنْفاسَهم، مُدْرِكِينَ أنّه في تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَ يَتِمُّ تَقْريرُ مَصِيرَ دولفي.



وماذا لو طَرَدُهُم السَّيِّدُ عصمت...

وخِلالَ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ، تَرَدَّدَ العَسْكَرِيُّ السَّابِقُ، ثُمَّ تَنَهَّدَ فَجْأَةً وعاوَدَ الكَلامَ بِلَهْجَةٍ لَطيفَةٍ:

- اسْمَعُوا، أنا لا أَتَعامَلُ مَعَ الحَيَوانَاتِ كالجَلاّدِ. لقد رَأَيْتُ الصِّغارَ في الأَقْبِيَةِ فانْتَابَنِي شُعُورٌ بالغَضَبِ، ولكِنَّ ما تَلَفَظَتْ به ابنتُكَ مِنْ عِبارَاتٍ جعلَتْني أُفكِّرُ بالأَمْرِ. أمّا بالنِّسْبَةِ للمَضَخَّةِ، فقد كُنْتُ على خَطأٍ، وأنا أقِرُّ بذلكَ، وبالنِّسْبَةِ للجُدْرانِ، فأنا لَمْ أَكُنْ على دِرايَةٍ بالمَوْضُوعِ... لقد أَعْطَيْتُ تَوْجِيهاتِي، وسَيُحَاوِلُ مُوظَّفِيَّ تَغْيِيرَ المِياهِ بواسِطَةِ مَضَخَّةٍ احْتِياطيَّةٍ. وسَيَسْتَغِلُّونَ الفُرْصَةَ لِصَقْلِ البَاطونِ. لا أَسْتَطِيعُ أنْ أَفْعَلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ في الوَقْتِ

الحَاضِرِ. فَتَشْييدُ البِناءِ كَلَّفَنِي أَكْثَرَ مِنَ المُتَوَقَّعِ، وأنا... أُعاني مِنْ بَعْضِ المَشاكِلِ المَاديَّةِ.

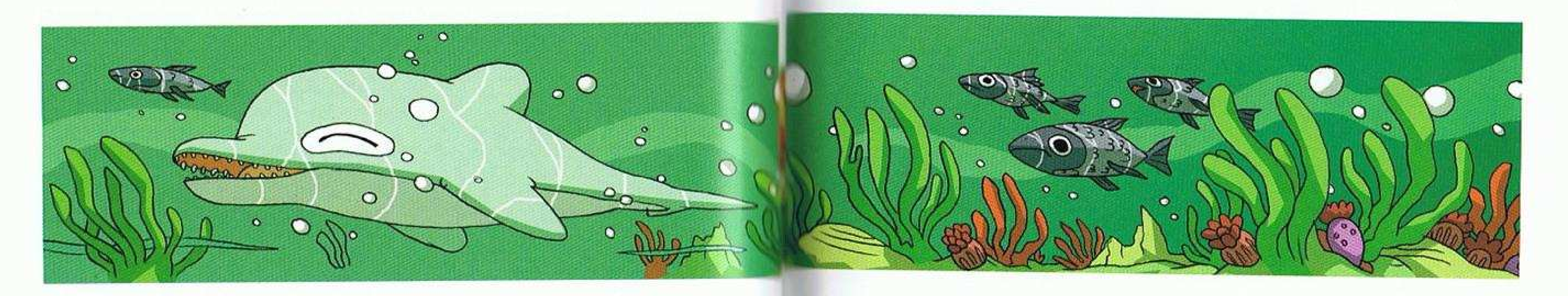
قاطَعَتْهُ مُنى:

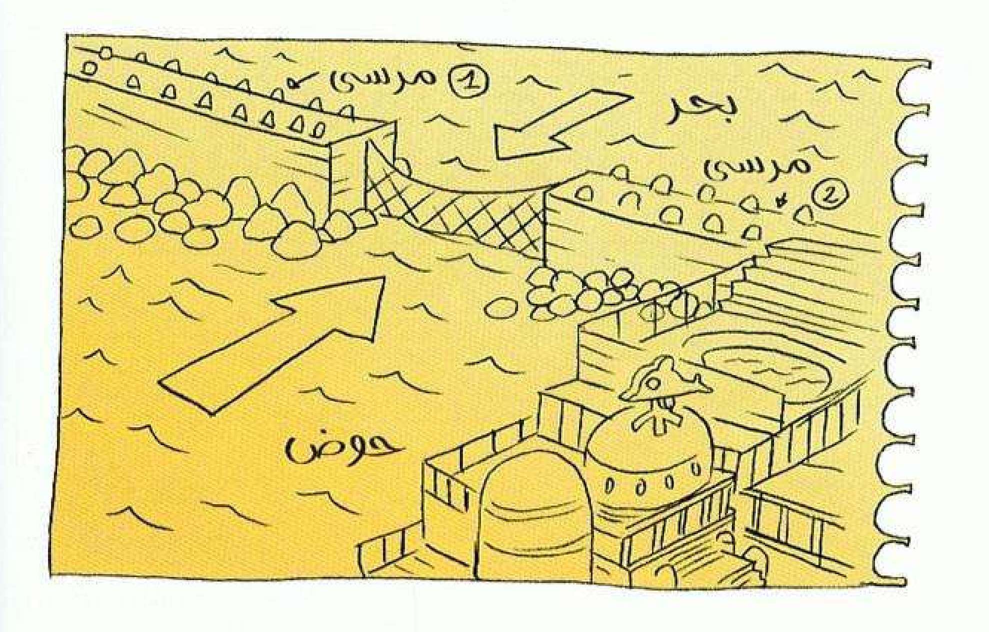
- لـدينـا، في الحَقيـقةِ مَشْروعُ حلٍّ نَضعُهُ بَيْن يدَيْكَ لِتَجْتَذِبَ عَنْ طَريقِهِ آلافَ الزّائِرِين!

- ما رأيكَ، تابعَ فادي، عن افْتِتاحِ أولِ حَوْضٍ للدّلافينِ في العَالمِ يَتَمتَّعونَ بحُرِّيَّةٍ شبهِ تامّةٍ.

- شِبْهُ تامّةٌ؟

- نعم، أضافَ وليدٌ. الفِكْرَةُ تَقْضي بتَرْكِ الدّلافينِ تَقْتَرِبُ بإرادَتِها مِنَ السَّائحين. لقد أحْضَرْتُ لك مِلَفّاً عَن





المَوْضُوعِ، مَعَ كلِّ ما اسْتَطَعْتُ إيجادَهُ مِنْ مَعْلومَاتٍ عبرَ الإنترنت. يوجَدُ مثلاً شاطئٌ في أستراليا يَحْوي دَلافينَ مُتَوَحِّشة تَقْتَرِبُ يومياً مِن رُوَّاد السِّباحةِ.

وقال السَّيِّدُ نعيم مُوضِحاً:

– كلُّ ما يَلْزَمُكم هو حَوْضٌ من الحَجْمِ الكَبيرِ مَفْتُوحٌ على البَحْرِ. وبعدَ اطّلاعي على الصُّوَرِ الخاصّةِ بالوَرْشَةِ البَحْرِيَّةِ القَديمَةِ الّتي تَمْلُكُونَ أرى أنَّهُ ليسَ عَلَيكُمْ سِوى مَدُّ شِباكٍ

ضَخْمةٍ بينَ الحاجِزَيْنِ الصَّخْرِيَّيْنِ. وهَكَذا فَستَحْظَى دُولْفي بالحَوْضِ البَحْرِيِّ المَطْلوبِ. أعتقدُ أنّها سَتكُونُ جَدَّ مُغْتَبِطَةٍ و... كَذلِكَ السُّيَّاحُ.

– وزِيادةً على ذلك، أكملَ فادي. لَنْ يَكُونَ هناكَ حاجَةٌ لَمَضخّاتٍ! فالمياهُ سَتَتَجدَّدُ طَبيعياً عبرَ الشِّباكِ.

دُهشَ السَّيِّدُ عصمت، وزمَّتْ عَيْناهُ وهو يُحاوِلُ تصَوُّرَ المَشْروعِ الجَديدِ.

– تَبْدُو الفِكْرَةُ جَديرَةٌ بالاهْتِمامِ، ولكِنْ... ماذا سَيَفْعَلُ السُّيَّاحُ لِيُشَاهِدوا دُولْفي؟

– هنا، أشارَ وليدٌ وهو يَضْغَطُ بإصْبَعِهِ على صَدْغِهِ. أنا مَنْ خَطَرَتْ ببَالِهِ هذهِ الفِكْرَةُ العَبْقَرِيَّةُ!

اقتنعَ السَّيِّدُ عصمت بِضَرُورةِ تَهْيِئَةِ حَوْضِ الدَّلافين لديه لِيَسْتَقْبِلَ الدَّلافينَ شبهَ الحُرَّة.

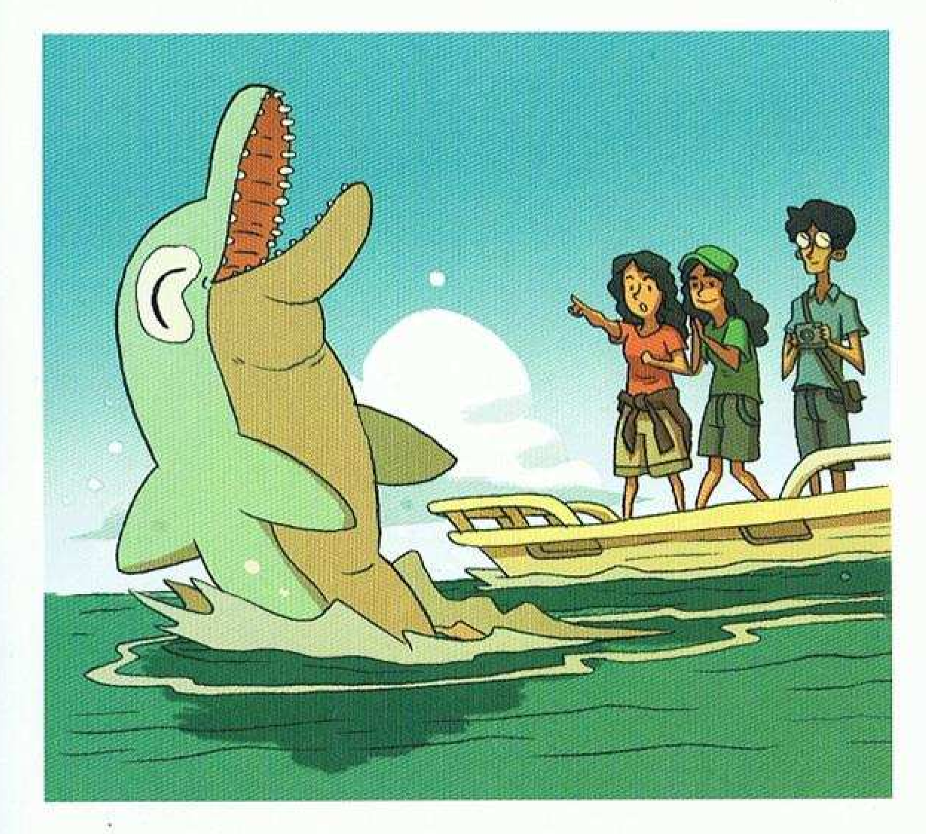
الفَصْلُ السَّادِس

صُوَرٌ مُدْهِشَة

مَضَتْ ثلاثَةُ أسابيعٍ. وهَا همُ أوائِلُ الزوَّارِ يَحْتَشِدون حالياً عند مَدْخل حَوْضِ الدَّلافين. اقْتَرَحَ الأَوْلادُ على السَّيِّدِ عصمت أنْ يَمُدُّوا لهُ يدَ العَوْنِ حتَّى نِهايةِ فَتْرَةِ إقامَتِهم. في الدَّاخلِ، كانَ وليد هو المَسْؤولُ عن عَرْضِ فيلمٍ يَتَنَاوَلُ الدَّلافينَ. ومِنَ الجِهَةِ البَحْرِيَّةِ تَوَلَّى كلٌّ من مُنى وفادي عَمَلياتِ الاجْتِذَابِ بالمَصَابيحِ عن طريقِ القِيام بنُزْهَةٍ في قاربٍ مُجهَّزٍ بقَعْرٍ شَفَّافٍ مِنْ مادةِ البلكس غلاس، وهي فكرة ارْتَآها وليدُ، الأمرُ الَّذي يَسْمَحُ للسُّيَّاحِ بِتَأَمُّلِ دُولْفي ومُتَابَعَةِ تحرُّكَاتِها.



بَدَتْ دُولْفي، وقدِ اسْتَعَادَتْ حُرِّيَّتَها، جِدَّ مَسْرُورةٍ بحَوْضِها الشَّاسعِ وانْطلقَتْ لِتَلْعَبَ دورَ البَطَلَةِ. وإذ بها تَمُرُّ وتُعاوِدُ المُرورَ تَحْتَ الزَّوارِقِ، والفَرَحُ بادٍ علَيْها، ترُشُّ الزَّائِرِين بالمِيَاهِ، ومِنْ وَقْتٍ لآخَر، تقْفِزُ بِشَكْلٍ رائِعٍ خَارِجَ الماءِ.





- أولادُكُم هُمْ نُجُومٌ في الحَقِيقةِ، صَرَّحَتْ ناديا عِندما حَضَرْتْ لِتَزُورَ حَوْضَ الدَّلافينِ. فقد حالَفَ الحظُّ دُولْفي والسَّيِّدَ عصمت بلِقائِهِم.

- السَّيِّدُ عصمت هو أيضاً شَخْصٌ حَسَنُ النِّيَّةِ، صَرَّحَتِ السَّيِّدةُ نعيم. كانت تَنْقَصُهُ النّصِيحَةُ.

- صَحيحٌ، أقرّتْ ناديا، سَأتَحَدَّثُ بِشَأْنِهِ مَعَ طارق، أَحَدِ أَصْدِقائي مِنَ الأَخصَّائيينَ في عِلْمِ الدَّلافين. فهو يَبْحَثُ عن مَكَانٍ مُناسِبٍ لِيُقيمَ فيهِ مُسْتَشْفىً خاصّاً بالدَّلافينِ الجَريحَةِ. هذا المَكَانُ أيضاً سَيَكُونُ جِدَّ ملائِمٍ وسَيَسْتَقْطِبُ سُيَّاحاً آخَرين. وفي الوقتِ عَيْنِهِ سَيَكُونُ بِإِمْكَانِهِ السَّهَرُ

على دُولْفي.

نَهضَ السَّيِّدُ نعيم فَجْأةً مِن على كرسيّه، ماذا هُناك؟

اندهَشَت عالِمَةُ البيولوجيا: هل تَفَوَّهْتُ أنا بِحمَاقةٍ؟

وأشارَ بإصبَعِهِ ناحيةَ الحَوْضِ الكَبيرِ مُتَمْتِماً:

– أنظ... انْظُرُوا!

حَمْلَقَتْ ناديا والسَّيِّدةُ نعيم بِدَوْرِهِما، لقدْ قَفَزَ سَمُّوس لِتَوِّهِ في الماءِ، والدُّلْفينَةُ الّتي لاقَتِ النِّمْسَ، تَرَكتهُ يَتسَلَّقُ ظَهْرَها، وذلِك أَمامَ حَشْدٍ مِنَ الزُّوّارِ المَشْدُوهينَ، وقامَتْ بِجَوْلَةٍ تَكْرِيمِيَّةٍ لَهُ على سَطْحِ مياهِ الحَوْضِ.

وأخذ السُّيَّاحُ المُنْدَهِشُون بالتَّصْفِيق. وقد جَسَّدَ فادي هذا المَشْهَدَ بفَضْلِ كاميرا التَّصْويرِ خاصَّتِه.

وبالنِّسبَةِ لِحُرَّاسِ الطَّبيعَةِ، وبكُلِّ تَأْكِيد، فَهذِهِ لَنْ تَكُونَ آخِرَ المُفاجَآتِ.



1 المؤلف

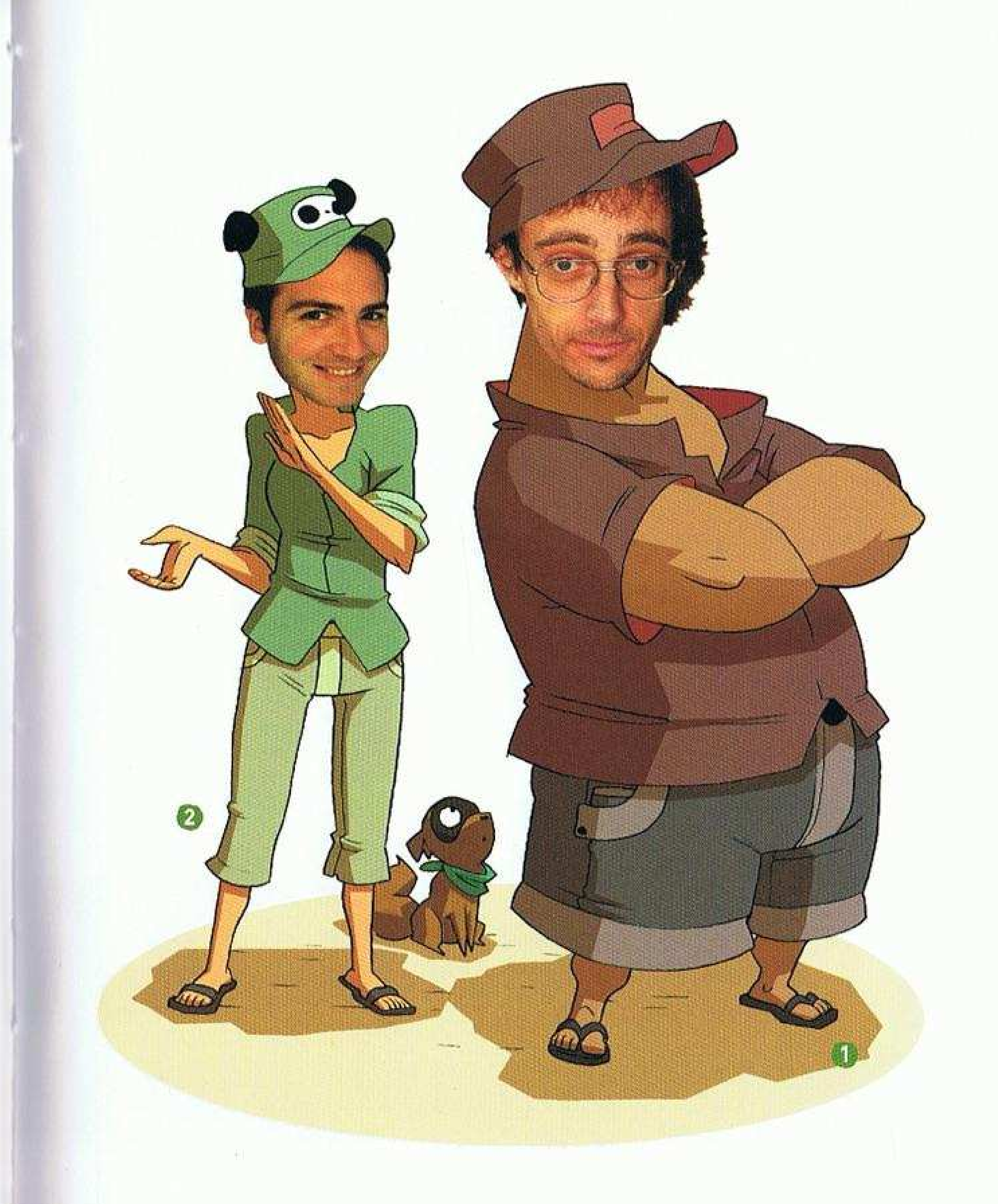
جان ماري دوفوسيز: قامَ جان ماري دوفوسيز بدراسَةٍ معمَّقةٍ على الحيواناتِ. حتَّى إنَّه قد أَخَذَ عيناتٍ من دم البزَّاق. وهذا ليس بالأمر السَّهل! فمنذ بِضْعِ سنواتٍ، تَخَلَّى عن حِقَنِه مُفَضِّلاً عليها القلمَ.

لقد لاحَظَ مرَّاتٍ عدّةٍ الدَّلافين الحُرّة. ولكنْ لم يقتربْ أحدُها منه. وهو يَتَمنّى لو يَتَلاقى والحِيتانِ الكَبيرةِ الزَّرقاء، فهي أيضاً مُعَرَّضةٌ للخَطَر، وللاسْتِمَاع إليها وهي تُغنّي. وفي مَرْحَلَةٍ أُخْرى يُمكِنُ أن يَتَناوَلَها في كِتَابِهِ القادم. من يدري؟

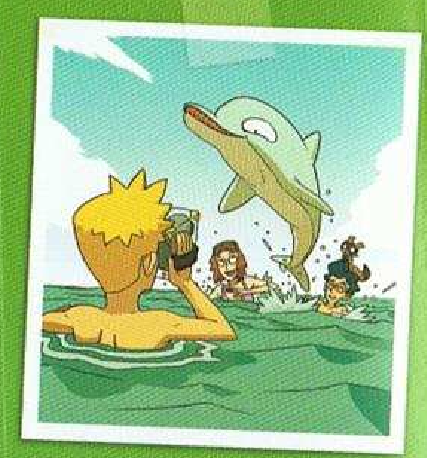
2 الرسام التصويري

إنّه الرجل الكتوم الذي يعشق الليل، والذي نشأ وترعرع في «السين والمارن». وقد تعلّم فن الرسم وأتقنه في مدرسة الفن التزييني في «ستراسبورغ». فتعمّق في الطبيعة الإنسانية.

تستهويه الفنون وخاصة الفن السابع، والرسوم المتحركة، والكتب المصوَّرة. ومع قليل من الحظ، فقد تُفاجىء الرجل في عرينه، وهو يقلّم أظافره، ويحفّ أقلامه على بعض الأوراق.



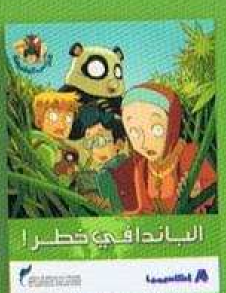
الفهرس



حرّاس الطبيعة

في هذه السلسلة





خطر يهدد السلاحف



منى
المغامرة
في: 05.01.06
منى
0001

فادي
الرياضي
في: 05/08/06
فادي
0002





أمريكا الشمالية
أوروبا
آسيا
داتشه
أفريقيا
أمريكا الجنوبية
أوقيانيا

هلْ تعلم؟

داتْشه

تُشكِّلُ شِبْهُ جَزيرةِ داتْشه الواقِعَةُ في جَنوبِ شَرْقِ تُرْكيا حُدُوداً طَبيعيّةً بَيْنَ بَحْرِ إيجه والبَحْرِ الأَبْيَض المُتَوَسِّط.
إذا كانَتْ جِبالُها المَكْسُوَّةُ بأَشْجارِ الصَّنَوبرِ وشَواطِؤُها ذاتُ الرِّمالِ النّاعِمَةِ تَجْتَذِبُ العَديدَ من السُّيّاحِ، فحِمايةُ هذِهِ الأَمْكِنَةِ تَجْعَلُ مِنْها في الواقِعِ جَنّةً لِلحَيَوانات.

حقائق ومعلومات

الدلافين



- يوجد حوالي أربعين نوعاً من الدلافين. وأشهرها حوت الأوركا والدلفين المعروف باسم ثورسيوبس. وهذان النوعان هما الوحيدان اللذين يتحمّلان الأسر. أما الأنواع الباقية فإنها تضرب عن الطعام عند احتجازها.

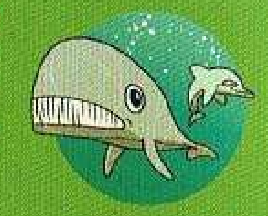
- يستطيع الدّلفين ثورسيوبس أن يبقى خمسة عَشر دقيقة غاطساً تحت الماء، ولكنّه يُضطرُّ بعد ذلكٍ إلى الصُّعود إلى السَّطح للتنفس من فُتحات التنفس لديه.

- يستطيع الدّلفين أن يحدّد اتّجاهه بواسطة جهاز الرَّادار - الصونار الذي يعمل بالأصوات الفائقة، حتّى ولو كان الماء عكراً أو كان الوقت ليلاً.

- لا تُغنّي الدلافين كالحيتان، ولكنّها تُصفّر وتؤلف جُملاً موسيقيّة معقدة. ويبدو أنها تتمتّع بذكاء كبير ويحاول الاختصاصيّون فهم لغتها.

- جميع أنواع الدلافين مهدَّدة في يومنا هذا بسبب الصَّيد الجائر والتلوُّث.

كَلِمات مُفيدة



حوتيّات

مجموعة من الثدييّات البحريّة تضمّ الدلافين والحيتان.



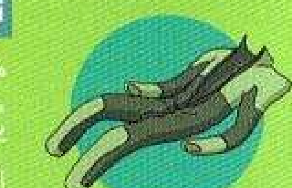
زَعانف

زائدة جلديّةٌ مجذافيّةٌ عند الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية، تُستعمل للدفع والتوازن والتوجيه.



سَبْر

تُستخدم للتعبير عن طريقة غوص الثدييّات البحريّة إلى أعماق البحار بعد أن تأخذ نفساً خارج الماء وتحبسه فيه.



نيوبرين

مطاط صناعي شديد المقاومة يُستعمل تحديداً في صناعة بذلات الغطس.



عالم حوتيّات

عالِم مُتخصِّص في دراسة الثدييّات البحريّة.

حراس الطبيعة

الدّلفين السجين





»
لَمْ يُصَدِّقْ حُرَّاسُ الطَّبيعَةِ ما رَأَتْ أَعْيُنُهُم.
حَيَوانٌ له زَعْنَفَةٌ عَلى ظَهْرِهِ ظَهَرَ لِتَوِّهِ على سَطْحِ
المَاءِ. هتفَتْ مُنى:

- هُناكَ دُلْفينٌ أَزْرَق!

- لَكِنَّهُ يَسْبَحُ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ، قَالَ فادي مُلاحِظًا.
إنَّه يبدو مُتَضايقاً من شَيْءٍ ما... »

على أحَد شواطئ تركيا، يُصبح حرّاس الطبيعة أصدقاء للدلفين «دولفي» الذي هَرَب من حديقة حيوانات مائيّة. لكنّ الحرّاس الثلاثة يرتابون في أنّ مالِك الحيوان لا يعتني به جيّداً.

